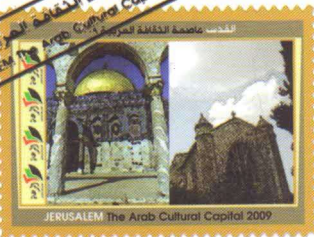
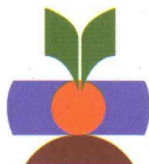


بشير قبطي

المسيحية في الشكر الجاهلي

القدس عاصمة الثقافة العربية ٢٠٠٩
Jerusalem The Arab Cultural Capital 2009





دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع



للدراسات والنشر

المسيحية في شعر الجاهلي

تأليف

بشير قبضي

الكتاب : المسيحية في الشعر الجاهلي
الكاتب : بشير قبطي

صدر عن



رام الله - فلسطين

الطبعة الثانية ٢٠٠٨

الإشراف الفني :



جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو استنساخه بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي مسبق من الناشر.

All right reserved, No part of this book may be reproduced, or transmitted in any fromor anymeans, electronic or meachanical, including photocoping recording or by any information storage retrieval system, without the prior permission in writing of the publisher.

محتويات الكتاب

٧	المصطلحات المسيحية
٩	التمهيد
١١	شواهد تاريخية على انتشار النصرانية
١٧	الصعوبات التي واجهت النصارى
٢٥	شواهد قرآنية
٢٧	شواهد من الآثار والنقوش
٣٠	اخبار النصارى وتنصر المنذر
٣٧	امرؤ القيس
٤٥	حاتم الطائي
٥٥	حنظلة الطائي
٥٧	يزيد بن عبد المدان
٥٩	البراق
٦٢	جابر التغلبي

٦٤	عمرو بن كلثوم
٦٧	عبيد بن الابرص
٧١	عنتر بن شداد
٧٥	زيد بن عمرو بن نُفَيْل
٧٨	جساس بن مرة
٨٠	الحارث بن عَبَّاد
٨٢	المرقش الأكبر
٨٤	طرفة
٩١	عبد المسيح (المتلمس)
٩٧	الأعشى الأكبر
١١٢	عدي بن زيد
١٢٤	القس بن ساعدة
١٣٢	أمية بن أبي الصلت
١٤٤	الناطقة الذبياني
١٦٣	ابيات متفرقة لشعراء مختلفين
١٧٠	شهود على صحة ما نقول
١٧٨	المصادر والمراجع

المصطلحات المسيحية

اليك بعض المصطلحات المسيحية التي وردت في الشعر الجاهلي

الأبيل:	الراهب، رئيس النصارى
الأبيلّي:	الراهب
الزار:	العفاف
البيعة:	الكنيسة، الدير، الهيكل والحراب، المذبح محل التقديس البطرق
او البطرك	
التامور:	صومعة الراهب
الحواري:	الرسول
الحواريات:	الراهبات، العذارى النصرانيات
الدُمية:	التمثال
الدير:	المسكن
الدين:	عبادة الله
الديرانية:	الراهبة
مذابح النصارى:	محاربيهم

راهب وراهبة:	رهبان ورواهب «أي خادم وخادمة البيعة»
السائح:	الراهب المتفرد المتعبد
الاسطوانة:	السارية، العمود
السبَّار:	البشارة
الساهور:	كثير السهر الذي لا تغفل ولا تنام عينه
السَّليط:	المتسلط أى الله
الاشعث:	الراهب
الشَّبر:	الانجيل، القربان
صرورة:	متبتل
الصليب:	المصلوب - الصديد، الدم الذي يسيل من الجرح
المتعبد:	الراهب
العُمر:	المسجد، واسم الدير
الفارْقَلِيط:	الروح القدس
القلَّاية:	العمر، الكنيسة
الناووس:	مقبرة النصارى
الوثن:	الصنم والصليب

تمهيد

منذ عقد من الزمن أو يزيد، طُلبَ إليّ أن أدرس الشعر الجاهلي وأنعم النظر باحثًا عن معالم المسيحية فيه، وكنت قد وجدت أبياتًا واضحة الدلالة على ذلك، فأعددت بعض المراجع لأبشر العمل، غير أن الذين طلبوا، ضربوا صفحًا عن الطلب ولم يعودوا لنتباحث في الامر، فطويت الموضوع الى حين طلب اليّ صديق أن اكتب بحثًا في عشر مقالات يتناول موضوع المسيحية في الشعر الجاهلي، فوجد ذلك في نفسي قبولًا، رغبةً في إظهار الحقائق المطموسة، لاسيما أنني لاحظت من خلال مطالعاتي ان كثيرين قد تناولوا الموضوع بالبحث والتنقيب ومنهم الأب لويس شيخو في شعراء النصرانية فأورد أسماء كثيرين من الشعراء وكثيرا من شعرهم، على أنهم نصارى دون أن يدعم قوله بشواهد مما أورد، مع أنه دعم قوله في البعض الآخر. فوجدت لزاما عليّ أن أدعم بحثي بأبيات تشهد على نصرانية من أتناوله بالبحث، لذلك تناولتُ بالدراسة الشعراء الذين تنمُّ أبياتهم على مسيحيتهم.

وبعد طول دراية وتأمل ، قبلت، ولكن بدا لي أن عشر مقالات لا تفي بالغرض، ولا يفي غير بحث كامل، وهذا لا يكون الا في كتاب، فعددت العزم على القيام بالعمل، فعكفت على جمع المعلومات واعدت المراجع لعلّي أفي بالغرض.

وها إنني قد انتهيت من دراستي وخرجت بالبحث الذي أرجو أن
أكون فيه قد أصبت الهدف متمنياً أن يصادف هذا العمل هوى في
نفوس الباحثين عن الحقائق، بنزاهة وتجرد.

والله الموفق

بشير قبطي

شواهد تاريخية على انتشار النصرانية

في تاريخ أدبنا العربي كلمات كثيرة وردت لتدلّ على واقع حاصل، منها النحل والتصحيف والتحريف، تدفعك الى التفكير والتأمل في سبب ايراد هذه الكلمات لأن لا دخان من غير نار، فاذا عرفت ان النحل تعني نسبة شيء لغير صاحبه او نسبة شعر لغير قائله كما فعل الرواة اذ نسبوا كثيرا من الشعر لغير أصحابه لتحقيق سبق لغوي او تأكيد رأي قالوه، او تمرير كلمة او اعراب عبارة، عجبت من ذلك وشككت بأنهم يشوهون اللغة ويتجاوزون الحدّ. أما التصحيف فهو ان تقرأ العبارة وتفهمها على غير ما قصدَ كاتبُها، واما التحريف فتغيير الحروف او تغيير عجمها كأن تلفظ كلمة حديد بدل جديد.

وقد اورد ناصيف اليازجي في مجمع البحرين حادثة لميمون بن خزام رواها سهيل بن عباد بمثل هذا الأسلوب: قال: سئل الشيخ عن امرأة معه: أحليلةٌ بنيتَ بها ام خليلةٌ أنستَ اليها، قال: بينهما نقطة فلا تحاسبُ عليها.

اما في النقل فكثيرا ما كان يحصل الالتباس لان كل مُترجم ينظر الى الحروف التي توجد في لغته لينقلَ اللفظة بحروفها ودلالاتها فاذا لم تتوافق الحروف يحاول ان يجد لها مخرجا فينقلها مبدلا الحرف الذي لم يجد في لغته له صِنْوًا، بحرف قريب منه يعتقد انه المناسب والأسهل على لسانه. "والحروف متمايضة في السمع وتتركب منها الكلمات الدالة على ما في الضمائر وليست

الامم كلها متساوية في النطق بتلك الحروف، فقد يكون لأمة من الحروف ما ليس لأمة أخرى".^(١) فكل أمة لها حروف تخصها وتميزها من غيرها، غير أن الخطر في النقل، أن يحاول الناقل أن يقرب اللفظ من أحرف لغته هو، ومثلاً سمت الرأس Zenith، أمير البحر Admiral القلي Alkali، وقد فعل العرب في تعريب بعض الكلمات كما فعل الأفرنج فابتعدت تعريباتهم عن الأصل، ومثلاً على ذلك تسميتهم إسبانيا بالاندلس نسبة إلى قبائل الفندال، وقد صرح ابن خلدون أن العرب تتصرف في الأسماء الأعجمية بتبديل حروفها وتغييرها وقد حصل التباس في التعريب، فبدل قايين قالوا قابيل وشاول: طالوت، ويقفور: يعفور، وقورح: قارون^(٢) فما بالك إذا تناولوا موضوعاً كاملاً بالنقل، فإنهم ينقلونه كما فهموه أو كما أحبوا أن يفهموه، فكيف إذا تضمن الكتاب أسماء كثيرة ومصطلحات؟ هذا في القديم وما زال الأمر يتكرر في الحديث، وإذا كتبوا موضوعاً واطالوا ضاق القارئ به وإن أجزوه أغلق على القارئ والمشكلة ما زالت حتى أيامنا هذه بل ربما زادت ونحن نشعر أن القراء قلّوا وإن شئت أسأل أصحاب المكتبات. وقد روى لي صديق أنه كان يعرض كتباً في أحد المعارض، فجاءه رجل وسأله إن كان بإمكانه أن يصدر له الكتاب "على كاسيت فيديو" فيراه على شاشة التلفاز ويسمع دون أن يتجشّم القراءة، والمشكلة ما زالت تتفاقم بين الكاتب والقارئ

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٣٤. دار احياء التراث - بيروت.

(٢) العرب قبل الاسلام ج١ ص ١٣ و١٤ جرجي زيدان.

قال الدكتور طه حسين، "والموضوع الذي يحتاج كاتبه ان يدرس فيطيل الدرس ويبحث فينعم البحث عسير على الكاتب والقارئ جميعاً، ونحن العرب سريعو السأم، نؤثر أن نمرّ بالموضوع مرور الكرام، وسرعان ما ننساه، وكثيراً ما نقرأ لنقطع الوقت ولتساعدنا القراءة على النوم".^(١) نحبّ ان نستأثر بالافضل ولكن باقل ما يمكن من المجهود، ونحصل على المبتغى بأقصر الطرق، ثم نشطح في اللاشيء، والمثل القائل: خير الكلام ما قلّ ودلّ، سيف ذو حدين الاول يدلّ على ان العرب يحبون الایجاز ويكرهون الثثرة، والثاني يمكن ان يدل على ضيق الصدر ومحدودية التفكير وسطحية الخيال وربما كان بالهم منشغلا بالثارات وبالحياة، وربما لهذا السبب حثّ النبيّ على طلب العلم ولو في الصين.

لهذا ولكنير من الاسباب خلت مكتباتنا من كتب تتناول الشعر الجاهلي بصدق واخلاص وتجرد، ذلك ان بعض الكتاب العرب يهدفون الى أحد امرين إمّا الظهور والمباهاة وإمّا الكسب المادي الذي في النهاية يخيب آمالهم. واذا طالعنا المؤلفات العربية نجد ان بعضها تفسده الاهواء، واذا كان الكاتب متجردا واصاب كبد الحقيقة بصدق وشفافية ووضع النقاط على الحروف اتهم بإفساد الشباب او التمرد وفي التاريخ شواهد تؤكد ما قاله أکثم بن صيفي "ان مقتل الرجل بين فكية" وسلام ابن المقفع على

(١) راجع خصام ونقد ص ٦ د. طه حسين.

سفيان المهلبي كلفه حياته،^(١) ولهذا احجم كثيرون عن كشف الحقائق لان السياسيين يعتبرون ان من ليس معهم فهو عليهم وان كان محايدا، وحكاية الحلاج معروفة، وفي ايامنا هذه تعرض عدد كبير من الكتاب والباحثين الى التنكيل امثال نجيب محفوظ والقتل امثال سليم اللوزي وغيرهما، فكيف يكشفون عما طمسته الاهواء ومحتة السياسة؟

كان الشعر الجاهلي زاخراً بتصوير العقيدة المسيحية، لكن معظم هذا الشعر اندثر كما اندثر كثير من الآثار التي تدل على انتشار النصرانية في الجزيرة، وأسباب ذلك مذكورة في كتب التاريخ والسير والدراسات المجردة الشفافة وفي هذا الصدد يقول مصطفى جحا "ان النبي واتباعه في مكة والمدينة ضيقوا على من لم يدخل الإسلام ليفسحوا في مجال توسع "الدولة الاسلامية" ومنذ ذلك الحين ساد الاعتقاد بأن المسلم أخو المسلم بالعقيدة، لقد فتح المسلمون مكة والمدينة وكانت غايتهم الا يبقى في الحجاز كلها أثر للنصرانية التي كانت تمثل تمثلا للشرقيين ديانة الحاكم الاجنبي"^(٢) وقد توارثت الأجيال هذه النظرة التي ظهرت بجلاء لدى الكثيرين من أبناء الامة مسلمين ومسيحيين، وخاصة في العقد السادس من القرن العشرين، ذلك ان الجيل في ذلك العقد

(١) كان سفيان ذا انف طويل وكان ابن المقفع اذا مرَّ به يقول: السلام عليكما (اي عليك وعلى انك) واثرت كتابة ابن المقفع رسالة الامان الى المنصور غضب المنصور لما فيها وقال: من يكفيني فقال سفيان انا، واستدعى ابن المقفع وسجرتنورا وقطعه اربا والقي به في التتور.

(٢) محنة العقل: ص ٢٠٣ و ٢٠٥ ل مصطفى جحا

لم يكن يهتم إلا بالوطن وحمايته من الدخلاء، إذ أصبح الرابط بين افراد الامة- بغض النظر عن الطائفة والمذهب- الولاء للقومية، وقد تمسك هذا الجيل بالقومية لا فرق بين فرد وآخر، وإني اعتقد جازماً أن كثيرين من المسيحيين الغربيين يدعون أنهم مسيحيون وخاصة الحكام وأصحاب القرار، ولكنهم ليسوا كذلك ولا يعرفون من الدين شيئاً، ذلك ان المسيحية تقوم على الوفاء والتسامح والاخاء والمحبة والعدل والمساواة والسلام واتباع سيرة المسيح وخاصة في تأكيده عملياً على العفو عند المقدرة، وكل من لا يؤمن بذلك ويترسم خطا المسيح، ويدعي أنه مسيحي، كاذب، لأن المسيحية ليست بالمظهر بل بالجوهر، ليست بالنظريات بل بالممارسة والتطبيق العملي.

اين العدالة والمساواة لدى "أصحاب القرار" اليوم، هؤلاء الذين نصبوا انفسهم قضاة وحكاماً ومدراء للعالم، اين العدالة؟ يمتلك اليهود قنابل ذرية ويهددون بمحو بلدان عن وجه الارض، كما هدد شارون العراق. هؤلاء لا يعتبرهم أصحاب القرار إرهابيين، أما العرب فممنوع أن يحملوا سلاحاً ويدافعوا عن انفسهم حتى لو كان حجارة واذا فعلوا فهم ارهابيون يجب استئصالهم.

اذا دافعوا عن انفسهم وعن بقائهم رافضين الذل والهوان والاحتلال نعتهم صانعو السلاح المتآمرون على الابرياء بالارهابيين، فأين هؤلاء اصحاب حضارة القرن العشرين والحادي والعشرين، اين هم من المسيح وتعاليمه وسيرته

وحياته. ماذا تعلموا من المسيحية، اخذوا القشور وتركوا اللباب
وتغاضوا عن الجوهر وخدعوا الناس وقد شوه إعلامهم صورة
العرب وبيض صورة اليهود، فاين إعلامنا يظهر الحقائق. اين
هؤلاء من المسيحية، بل اين هم من أهلنا قبل ألفي سنة؟

اين هم من امرئ القيس، الشاعر الجاهلي الذي شب في بيئة
تقدس الثأر ولا تهاب نار الحرب، أين هم منه حيث يقول:

الحرب أول ما تكون فتية
تبدو بزيتها الكُلُّ جهول
حتى اذا حميت وشبَّ ضرامها
عادت عجوزاً غير ذات حليل

يصف الحرب وويلاتها ونتائجها، انه لا يشعلها ليدمر ويبيد
لكنه يدعو الى البرِّ

والله أنجح ما طلبت به
والبرُّ خير حقيبة الرخل

اما حاتم طيء فيقول بعدما هاجمه سعد بن حارثة بن أم،
فضربه حاتم وأطار ارنبة انفه فوق العشر.

وددتُ وييت الله لو أن أنفه
هواء فما متَّ المخاطُ عن العظم

ولكنّما لاقاه سيف ابن عمّه
فآب ومراً السيف منه على الخطم

ندم حاتم على فعلته مع انه كان في معرض الدفاع عن
النفس، فأين هؤلاء من عرب الجاهلية ذوي القلوب الصافية،
أصحاب الشهامة، ألا يدل شعرهم على انهم مسيحيون أكثر من
أدعياء اليوم؟

الصعوبات التي واجهت النصارى

واجه المسيحيون صعابا واضطهادات منذ نشأة المسيحية،
خاصة على ايدي اليهود، فلمّا جاء الاسلام حاربوا اليهود جنباً
الى جنب مع المسلمين، ومع ذلك فإن بعض الخلفاء ضيق على
النصارى، كعمر بن الخطاب الذي منعهم من دخول مكة والمدينة،
وشرط على نصارى الشام ان لا يحدثوا كنيسة ولا قليّة ولا
يُخرجوا شعانين ولا باعوثاً،^(١) وكاد يفتك بحجّية بن المضرب
الكندي النصراني لولا أنه كان ضيف الزبير بن العوام، لان حجّية
ذهب الى المدينة ليسترد زوجته التي ذهبت الى المدينة واسلمت
لان زوجها أكرم بني معدان.^(٢)

وفي العصر العباسي ترسم المتوكل خطا عمر "فحرّم على
النصارى ان يظهروا في شعانينهم صليباً وأن يُشْمَعِلُوا في
الطريق".^(٣) واذا تتبعنا التاريخ وجدنا أن الذين استلموا الحكم

(١) النصرانية وأدائها بين عرب الجاهلية ص ٢١٧ . الباعوث: اليوم الثاني للقيامه.

(٢) شعراء الناصرية حـ ٢ ص ٥٣

(٣) يشمعل: يرتل الانجيل

والقرار وتشددوا أكثر كانوا من غير العرب، فعهد المتوكل عهد الأتراك، كان عهد تشدد، ظهر بوضوح، خاصة أيام شيركوه مع العلم أن ليس في القرآن آية تحت على اضطهاد النصارى، ولا على إكراه احد في الدين، "لا إكراه في الدين"، (١) و"لكم دينكم ولي دين" (٢) و"المؤمنون هم كل من آمن بالله وملائكته ورسله" (٣) والمسيحيون سبقوا المسلمين وآمنوا بما وجدوه من كتب وبمن جاء قبل المسيح من أنبياء كما آمنوا بالمسيح وبشارته، فلماذا تنكر قادة قريش لورقة بن نوفل وهو أحد سادتهم؟ ألم يتنكروا له ولكنيسته ويحرقوا كتبه وأناجيله ويطمسوا أخباره (٤) ويكفّنوه بأكفان الجاهلية، مع أن "النبي مدحه ونهى عن سبه؟

"قال الزبير حدثني عمي قال: حدثنا عثمان بن عبد الرحمن بن ابي الزناد عن هشام بن عروة أن رسول الله قال لأخي ورقة أو لابن أخيه: شعرت اني قد رأيت لورقة جنة أو جنتين.

وقال عروة: ونهى الرسول عن سب ورقة، وقال الزبير، وحدثني عمي قال: "حدثني الضحاك عن عبد الرحمن بن ابي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه أن خديجة كانت تأتي ورقة بما يخبرها به رسول الله أنه يأتيه. فيقول ورقة إن كان ما يقوله حقا ليأتيه الناموس الأكبر ناموس عيسى بن مريم الذي لا يجيزه

(١) سورة البقرة: ٢٥٦

(٢) سورة الكافرون: ٦

(٣) سورة البقرة: ٢٥٨

(٤) محنة العقل ص ١٨٤ مصطفى جحا

أهل الكتاب إلا بثمن. وإن نطق وأنا حيّ لأبْلَيْنَ الله فيه بلاء حسنًا^(١) أمّا في مختصر صحيح البخاري فيقول إن ورقة قال: "هذا الناموس الذي نزل الله على موسى يا ليتني فيها جذعًا ليتني حيّا إذ يخرجك قومك ... ثم لم ينشب ورقة أن توفي ففتر الوحي"^(٢)

أما حكاية مكتبة الاسكندرية، فقد ذكر المؤرخ البغدادي أن الخليفة عمر، أمر عامله على مصر، عمرو بن العاص ان يحرق مكتبة الاسكندرية إن كان ما فيها لا يوافقه القرآن، فسلم عمرو المجلدات الى أصحاب الحمامات فظلموا يوقدونها ستة اشهر، ويفرض هذا القول صاحب كتاب تاريخ العرب والمسلمين، ويقولان: ان ذلك حصل أيام يوليوس قيصر سنة ٤٨ ق.م^(٣) الاخبار كثيرة لا يتسع لها المقام هنا، ولكن ننهي بحكاية شمعة التغلبي التي حصلت في العصر الأموي واوردها الأغاني ضمن أخبار اعشى بني تغلب وكتب شهاب الدين احمد بن يحيى المعروف بابن فضل الله الكاتب الدمشقي ان شمعة بن فايد التغلبي كان نصرانيّا ذا أبهة وبهاء...ودخل على هشام بن عبد الملك، وقال المبرد بل على عبد الملك بن مروان. وجاء في تاريخ مخايل الكبير البطريق اليعقوبي انه دخل على الوليد. وروى ابن العبري في تاريخه الدنيوي قال: كان شمعة رئيسا على بني تغلب، العرب النصاري، ودخل على الوليد بن عبد الملك، فقال له

(١) الاغاني ج٣ ص ٨٦ لابي الفرج الاصفهاني.

(٢) مختصر صحيح البخاري تحقيق سعيد اللحام. بيروت: الطبعة الثانية ج١ ص ١٨

(٣) تاريخ العرب والمسلمين ج١ ص ٥٨ محمد حسين علي وعبد الرحيم مرعب.

الوليد: إنك رئيس على العرب، فإنك تشملهم بالعار إذ تسجد للصليب، ومن ثمّ أفعَل ما أمرك به، وأسلم فأجاب شمعة: لا، بل بما انني رئيس على كل بني تغلب، فلذلك أخاف أن أكون سبباً لهلاكهم جميعاً إذا كفرت أنا، فيكفرون هم بالمسيح فلمّا سمع الوليد كلامه امر بأن يسحبوه على وجهه ويخرجوه مقسماً بأنه إن لم يسلم يطعمه لحمه. أمّا شمعة فلم يكثرث لقوله، فامر الوليد بأن تجز من فخذة قطعة فشواها وادخلها في فمه وفي ذلك يقول أعشى تغلب:

أَمِنْ جَذْوَةٍ فِي الْفَخْرِ مِنْكَ تَبَاشَرْتَ

عَدَاكَ فَلَا عَارَ عَلَيْكَ وَلَا وَزْرُ (١)

ومهما يكن، فإن الحكاية قد حصلت، بدلالة أن أكثر من مؤرخ، ذكرها كاملة، بغض النظر مع مَنْ، وَمَنْ أَمَرَ، بيد أن المرجح أن تكون مع الوليد بن عبد الملك لما عرف عنه من رغبة في العنف، فقد فتك بعدد من السريان، ويقول المسعودي: "وحكى عثمان بن مرة الخولاني قال: لما ابتدأ الوليد ببناء مسجد دمشق وجد في حائط المسجد لوحاً من حجارة فيه كتابة باليونانية - لم يستطع أن ينقلها إلى العربية إلا وهب بن منبّه، الذي قال: هذا مكتوب من أيام سليمان ابن داود...بسم الله الرحمن الرحيم، يا ابن آدم لو عانيت ما بقي من يسير أجلك، لزهدت فيما بقي من طول أملك،

(١) الاغانى ج ١١ ص ١٨٩ وشعراء الناصرية ج ٢ ص ١١٩-١٢١

وقصرت عن رغبتك وحيلك، وإنما تلقى ندمك اذا زلّت بك قدمك،
 واسلمك اهلك وحشمك، وانصرف عنك الحبيب، وودّعك القريب، ثم
 صرت تُدعى ولا تجيب، فلا أنت الى اهلك عائد، ولا في عملك زائد،
 فاغتنم الحياة قبل الموت، والقوة قبل الفوت، وقبل ان يؤخذ منك
 بالكظم ويحال بينك وبين العمل^(١). فأمر الوليد ان يكتب بالذهب
 على اللأزورد في حائط المسجد: ربُّنا الله ، لا نعبد الا الله، وأمر
 ببناء هذا المسجد، وهدم الكنيسة التي كانت فيه، ثم مهره
 بتوقيعه: عبد الله الوليد أمير المؤمنين في ذي الحجة سنة سبع
 وثمانين^(٢).

ومهما يكن من أمر الاخبار والمخبرين والرواة الذين طمسوا-
 هم ايضا- كثيرا من الشعر الجاهلي الذي يبيّن عقائد أصحابه
 ونزعاتهم سواء كان ذلك عن قصد أو عن غير قصد، فاننا نتساءل:
 ما هي الاسباب التي دفعت بهؤلاء الى طمس علم الأنساب أيضا،
 واذا اطلنا النظر كشفنا النقاب عن الحقائق وتبيّن لنا ما كان
 ممّوها. والسؤال: من هم الرواة وأقله، من اشهرهم؟ اشهرهم أبو
 عبيدة، فإذا نسبناه وجدناه يهوديا فارسيا واسمه الكامل، ابو
 عبيدة بن المثنى، وربما تسمى بهذا الاسم تمويها حتى يختلط
 الأمر بينه وبين أبي عبيدة بن الجراح ويحسن الناس الظن به.

(١) وهب بن منبه كان مجوسيا. مروج الذهب ج٢ ص ١٢١ و١٢٢

(٢) مروج الذهب ج٢ ص ١٢١ و١٢٢

لم يكن الرواة وحدهم من أهمل شعر الشعراء النصارى الذين تظهر عقيدتهم الدينية في شعرهم، ويتضح تمسكهم بها وإيمانهم بجوهرها، بل كان بعض المؤلفين أيضاً كابن قتيبة في "الشعر والشعراء" يعتمد التعقيم. فقد ذكر عددًا من الشعراء النصارى دون أن يشير أو يلمح إلى أنهم نصارى، بل لم يذكر بيتًا بهذا الخصوص، لامية بن ابي الصلت، او لعدي بن زيد او للأعشى أو المتلمس، وحتى القس بن ساعدة لم يأت على ذكره، علما ان النبي كان يشيد به. أما لبيد الذي أسلم في اواخر أيامه فقد اسهب في سرد أشعاره وخاصة ما يتعلق بالاسلام كقصيدته التي يقول فيها:

الحمد لله أن لم يأتني أجلي
حتى لبست من الاسلام سربالا

ومن جملة التعقيم عدم شرح بعض الآيات التي تدل على ايمان المسيحيين او ذكر اسباب النزول، ومن ذلك ما أهمله ابو الحسن علي بن احمد الواحدي النيسابوري في كتابه اسباب النزول، فلم يذكر أسباب نزول سورة الانشقاق او البروج التي نزلت في أصحاب الاخدود اي اليهود الذين قتلوا نصارى نجران واحرقوا كنائسهم وكتبهم وحتى الجالين لم يذكر شيئًا من ذلك، إلا أن الدكتور شوقي ضيف اورد السورة غير تارك مجالا للشكل او الالتباس. قال: "وقد استطاع يهود اليمن في أواخر العصر الجاهلي أو بعبارة اخرى في أوائل القرن السادس الميلادي، أن

يؤثروا في ملك من ملوك التبابعة هو ذو نواس، وأن يدخلوه في دينهم، وقد دفعوه دفعاً الى التنكيل بنصارى نجران وتحريقهم، وفي ذلك نزلت الآيات الكريمة: (قتل أصحاب الأخدود، النار ذات الوقود، اذ هم عليها قعود، وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود) ^(١) من هم المؤمنون هنا أليسوا النصارى او المسيحيين الذين نكل بهم اليهود وقتلوهم فلماذا لم يذكر ابو الحسن السبب؟ هل لأن السبب يبين اعتراف القرآن بايمان النصارى وهذه الحادثة ذكرها الاعشى وحرص النصارى على محاربة اليهود ^(٢)

بيد أن كل ذلك التعظيم وتلك التعمية وتعمد معظم الادباء والرواة طمس ما يدل على المسيحية وانتشارها بين عرب الجاهلية، لم يحل دون ظهور الحقيقة، ذلك ان الآثار المكتشفة قديما وحديثا، وما وصلنا من ابيات على قلتها تشهد على كم كانت المسيحية منتشرة في شبه الجزيرة العربية بين القبائل في اليمن من كندة الى طيء وفي نجد والحجاز من ربيعة وتغلب وإياد الى بني عدنان وقضاعة والحنيفة اللتين قال فيهما شاعران متهكمين حينما تناول افرادهما القربان.

أكلت قضاعة رءها
يوم التقيهم والمجاعة

(١) تاريخ الادب العربي للدكتور شوقي ضيف ج١ ص ٩٧ .

(٢) راجع ص ١١٢ من هذا الكتاب.

وقد ورد هذا المعنى لدى شاعر آخر في بني حنيفة دلالة على
شيوع المسيحية في القبائل:

أَكَلْتُ حَنِيْفَةً رِيْهَا
زَمَنَ التَّقَحُّمِ وَالْمَجَاعَةِ
لَمْ يَحْذَرُوا مِنْ رِيْهِمْ
سَوَاءَ الْعَقُوبَةِ وَالْمَتَاعَةِ^(١)

شاعت النصرانية في بكر بن وائل وتميم ومزينة وذبيان
وهوازن وعبس في نجد والحجاز والعراق.

اما كلمة جهل وجاهلي فلم تشتق من الجهل الذي هو ضد العلم
ونقيضه، إنما هي مشتقة من الجهل بمعنى السفه والغضب والنزق
فهي تقابل^(٢) كلمة الاسلام التي تدل على الخضوع والطاعة لله
عز وجل. وهذا واضح في شعر عمرو بن كلثوم

أَلَا لَا يَجْهَلُنْ أَحَدٌ عَلَيْنَا
فَنَجْهَلُ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَ

فالجهل كانت تدل على السفه والطيش والحمق وهذا ما ذكر
في أكثر من آية، ففي سورة الاعراف "خذ العفو وامر بالعرف

(١) النصرانية وآدابها ص ٢١٠ - المتاعاة التمتع.
(٢) تقابل: المقابلة في اللغة مجموعة طباقات تقابل مجموعة عكسها في المعنى.

وأعرض عن الجاهلين.^(١) ولنا عودة الى انتشار المسيحية بين عرب الجاهلية.

قال الشاعر في السفه والسفيه

ولقد امرَ على السففيه يسبني
فأشيعُ ثم أقول لا يعنيني

شواهد قرآنية

اجمع المؤرخون والباحثون على ان القرآن أصدق وثيقة لاحوال العصر الجاهلي. وقد ورد في القرآن اوصاف لعرب الجاهلية ومذاهبهم وآرائهم ومعتقداتهم واحوال معيشتهم وشؤونهم الدينية، وقد قال البعض إن البدوي ضعيف العبادة ولكن ابن خلدون قال: البدوي اقرب الى العبادة من الحضري وابعد عن الكذب، وقد جاء القرآن بأخبار عن النصارى فنعتهم بأنهم: "التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف"^(٢) الناهون عن المنكر، ولم يقل إنهم مشركون لأن المشرك كما يتضح من الآيات، هو من أشرك الاصنام وعبدها مع الله وفي ذلك يقول الشاعر:

وباللات والعزى ومن دان دينها
وبالله إن الله منهن أكبر

(١) راجع: تاريخ الادب العربي ج١ ص ٣٩. د. ضيف

(٢) سورة التوبة آية ١١٢.

وقد ورد في الحديث تعظيم لمريم وابنها: "ما من مولود الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهلّ صارخا من مسّ الشيطان الا مريم وابنها"، (١) الذي وصفه القرآن بأنه يبزيء الأكمه والأبرص ويخاطب الناس في المهد صبيا ويحيي الموتى. (٢)

وقد ورد ذكر النصارى في سورة البروج، وفي سورة المائدة، وكان ذكرا حميدا ذلك أنهم لم يحاربوا النبيّ واتباعه، والمعنى ان النصرانية كانت منتشرة في الجزيرة العربية. وقد فضّلهم القرآن على غيرهم لان الله يقول في مخاطبة المسيح انه رافعه ومطهرة من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوا المسيح فوق الذين كفروا الى يوم القيامة. (٣)

لم يساو القرآن بين النصارى والمشرّكين بل ساوى بين اليهود والمشرّكين الذين عبدوا الأصنام مع عبادتهم لله، وذلك في الآية "ولتجدنّ أشدّ الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا، ولتجدنّ أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى، ذلك بأنّ منهم قسيسين ورهبانا وإنهم لا يستكبرون". (٤) وفي آية أخرى: "ومن يشرك بالله فقد ضلّ ضلّالا بعيدا، إنّ يدعون من دونه إلاّ إناثا، وإن يدعون إلاّ شيطانا مريدا". (٥)

(١) عن النصرانية وأدائها ص ٢٧٨ ومختصر صحيح البخاري ص ٣٦٩.

(٢) سورة آل عمران: ٤٩

(٣) سورة آل عمران: ٤٩ وما بعد

(٤) المائدة: ٨٥

(٥) النساء ١١٦

يقول "الجلالين": "إلا إناثا أي اصنامًا مؤنثة كاللآت والعزى ومناة، ومن يعبدهن يعبد شيطانا مريدا. اذن المشركون هم من عبدوا الأصنام مع الله وهؤلاء ضلّوا، فهم الضالون. غير ان الشارحين قالوا في شرح الفاتحة إن الضالين هم النصارى فكيف فاتهما ذلك؟؟

من هنا فالمشرك من أشرك الاصنام في عبادة الله وبهذا فهو ضالّ. وبناء على هذا وما تقدم، فالنصارى مؤمنون بعرف القرآن. فكيف يتهمهم حاملو لواء الدين اليوم بالكفر والشرك؟

شواهد من الآثار والنقوش

زخرت بطون الكتب بأخبار انتشار المسيحية بين عرب الجاهلية فذكرت ان ملك السراسين^(١) في القرن الرابع للميلاد، مات، فخلفته زوجته ماوية، فحلت نفسها من المعاهدة واحتلت سوريا وفلسطين ومصر، ووصلت برزخ السويس، الامر الذي اضطر الامبراطور فالانس الى تجديد المعاهدة بشروط افضل لصالح المهاجمين، وكان بين السراسين جماعة كبيرة من المسيحيين فاشتترطت أن يكون لهم اسقف خاص بكنيستهم إسمه موسى^(٢).

وفي اواسط القرن الرابع للميلاد، هاجم ملك الأحباش العلي اسكندي اليمن فحارب الهدهاد سنة ٣٤٠م، وخلفه ابنه العلي عميرة فحارب الهدهاد وبلقيس وفتح اليمن سنة ٣٤٥م بمساعدة

(١) السراسين قبائل في شبه جزيرة سيناء.

(٢) العرب قبل الاسلام ج ١ ص ٩٤ و٩٥ جرجي زيدان

قيصر الروم قسطنطين، لنشر النصرانية التي كانت قد دخلت اليمن على يد كاهن رومي اسمه فرومنتيوس، ارسله الروم، فنشر النصرانية، ورُسم اسقفا عليها سنة ٣٥٤م في اكسيوم، لأن في ذلك التاريخ كان القياصرة قد تنصّروا، فقال العرب: ان الفتح كان لأن اليهود اضطهدوا النصارى.^(١) وكان القياصرة قد أرسلوا فرمنتيوس الى الحبشة فنشر النصرانية فيها ومنها تسرّبت الى العرب خصوصا نجران وعدن، وينوا كعبة نجران وارسلوا اليها الكهنة والرهبان^(٢).

وفي اوائل القرن السادس، حكم ذونواس- وكان الروم يسمونه دميانوس- وكان متعصبا لليهودية على النصرانية، فقتل أهل نجران واحرق الانجيل، وهرب منهم رجل اسمه دوس ثعلبان الى القيصر، فكتب القيصر الى الحبشة فसार ارباط بسبعين الفا واحتل اليمن وخطب في جنده قائلا:

”يا معشر الحبشة، قد علمتم أنكم لن ترجعوا الى بلادكم أبداً، هذا البحر بين ايديكم ان دخلتموه غرقتم وان سلكتم البر هلكتم واتخذكم العرب عبيداً، وليس لكم الا الصبر حتى تموتوا او تقتلوا عدوكم.^(٣) وهذه الخطبة تعيد الى الازهان خطبة طارق بن زياد التي خطبها في اسبانيا بعده بقرون.

(١) اذن، اليهود يضطهدون النصارى لانهم يعتبرونهم مرتدين. اقرأ التلمود.

(٢) العرب قبل الاسلام ج ١ ص ١٢٦ و ١٢٧ جرجي زيدان.

(٣) العرب قبل الاسلام ج ١ ص ١٢٧

وَتَدَخَلَ الفرس فتَجَنَّدَ الأحباش وقتلوا "ذو نواس" وجددوا المعاهدة مع الروم وطلبوا قسيسا من الاسكندرية فأرسلوا اليهم رجلا تقياً اسمه يوحنا، صار بعدئذ اسقفا على أكسيوم.^(١)

وقد عيَّن الأحباش أميراً مسيحياً على اليمن اسمه اسيمافىوس، وبنى القائد الحبشي أبرهة كنيسة اسماها القليس وهو تحريف لكلمة اقليشيا اليونانية، وكتب عليها: "بُنِيَتْ هَذَا لَكَ مِنْ مَالِكَ لِيَذْكُرَ فِيهِ اسْمُكَ وَأَنَا عَبْدُكَ".^(٢) وهنا تساعدنا الآثار على بيان انتشار النصرانية.

هذا وقد دخلت النصرانية الدولة الجُمُيرِيَّة وحضرموت وقد ذكر بلينيوس ان في مدينتي ناحية وتمناء باليمن (٦٥) هيكلا وفي شبرة قصبة حضرموت (٦٠) هيكلا.^(٣)

وفق غلازر أثناء زيارته انقاض السدّ في اليمن الى اكتشاف اثرين عليهما كتابة طويلة- تتعلق بهدم السدّ، جاء في احدهما ما كتبه ابرهة الحبشي سنة (٤٥٠) م

"بنعمة الرحمن الرحيم ومسيحه والروح القدس إن أبرهة عزيز الاحباش الاكسوميين، ملك أراحميس ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت... قد نقش هذا الأثر تذكّاراً لتغلبه على يزيد بن كبشة

(١) العرب قبل الاسلام ج١ ص ١٢٩-١٣٥

(٢) العرب قبل الاسلام ج١ ص ١٢٩-١٣٥

(٣) العرب قبل الاسلام ج١ ص ١٢٩-١٣٥

عامله الذي ولّاه كندة... فاطمأن... وقتل رسول الملك فنهض الملك
بجنده الأحباش الحميريين وأعاد الأمور الى نصابها^(١).

اخبار النصارى وتنصر المنذر

تنصّر الغساسنة وَيَنَوُّوا الاديّار : دير حالي ودير الكهف ودير
هناد ودير النبوة. وكانت ازهى أيام مرّوا بها أيام الحارث بن
جبلة، إذ امتدّ سلطانهم من بطرا الى الرصافة شمال تدمر وكانوا
قد دخلوا في المسيحية في القرن الرابع الميلادي^(٢) فنشروا
المسيحية في تلك الأصقاع. اما العباد في العراق في اواسط القرن
الخامس الميلادي، فقد كان لهم ثلاث كنائس: الملكية واليعقوبية
والنسطورية، وابتنّوا بيعة كبرى لهذه الطائفة تولاها عدة اساقفة
وزادت أهميتها بعد ان تنصّر ملوكها فبنّوا البيع والاديّار، حتى
النساء انشأن المعاهد الدينية اشهرها دير هند الكبرى في الحيرة،
بنته ام عمرو بن المنذر المعروف بعمر بن هند وكان على صدر
الدير نقش هذا نصه:

”بَنَتْ هذه البيعة، هند بنت الحارث بن عمرو بن حجر، الملكة
بنت الاملاك وام الملك عمرو بن المنذر، أمة المسيح وأمّ عبده،
فالاله الذي بنت له هند الدير يغفر لها خطيئتها ويترحم عليها
وعلى ولدها ويقبل بها ويولدها ويقومها الى امانة الحق ويكون
الله معها ومع ولدها الدهر الداهر^(٣).

(١) المرجع نفسه ص ١٥٩.

(٢) المرجع عينه ص ٢٠٠ وتاريخ الادب العربي ج ١ ص ٤١ د. شوقي ضيف.

(٣) العرب قبل الاسلام ص ٢٠٠ وشعراء النصرانية ج ٢ ص ١٢ و ٢٦ و ٢٧

ولهند حكاية مع المغيرة بن شعبة حين خطبها فرفضته
وقالت هذا والصليب لا يكون فقال المغيرة:

إني لحلفك بالصليب مُصدقٌ
والصلبُ أصدقُ حلفه الرهبان

أما الأدب وخاصة الشعر، فاخبرهُ ورواياته كثيرة نختصر
منها ونثبت ما يدلّ على خُلق المسيحي وصدقه واستقامته
واخلاصه وسلامة طويّته ووفائه. ومن هذه الدلالات حكاية
حنظلة بن أبي عفراء بن النعمان... الطائي الذي كان وفاؤه
وصدقه وعدم غدره وحنثه سببا لتنصرَ المنذر بن ماء السماء
الذي قتل نديميه وعيّن يومين: يوم بؤس ويوم نعيم فمن جاءه
في يوم البؤس قتله ومن جاءه في يوم النعيم أنعم عليه، ومعرفة
المنذر بحنظلة ترقى الى زمن، وذلك ان المنذر كان قد ركب فرسه
الجموم فأجراه على أثر حمار وحش فذهب به الفرس في الارض
ولم يقدر ان يردّه فانفرد عن اصحابه واخذت السماء تمطر فطلب
ملجأً يتقي به حتى دُفع الى خباء كان لرجل من طي اسمه حنظلة
وكان لحنظلة شاة فحلبها وذبحها وصنع للضيف مضيرة
فاطعمه وسقاه، وفي الصباح لبس المنذر ثيابه وقال لحنظلة: انا
الملك المنذر فاطلب ثوابك. قال أفعل إن شاء الله، ثم انصرف
المنذر. وبعد زمن ساءت احوال حنظلة فقالت له امرأته اذهب الى
الملك فيحسن اليك. فسار حنظلة الى المنذر وصادف يوم بؤسه

فقال له أبشر بقتلك فقال: جئتك زائراً سائلاً خيراً فقال لا بدّ من ذلك اطلب حاجة فقال امهلني سنة اذهب الى اهلي وادبر شؤونهم ثم اعود اليك، قال ومن يكفلك قال: شريك بن عمرو فكفله شريك، وذهب الطائي الى اهله ومعه خمسمئة ناقة ومضت الأيام، ولمّا كاد آخر يوم في السنة ينتهي وقف المنذر بين الغريين وامر بقتل شريك، فقال وزراؤه ليس لك أن تقتله حتى يستوفي يومه، فتركه، وعندما قاربت الشمس المغيب شعروا براكب قد ظهر، واذا به حنظلة فقال المنذر: ما الذي جاء بك وقد افلتت من القتل؟ قال الوفاء، قال وما دعاك الى الوفاء؟ قال: إنّ لي ديناً يمنعني من الغدر. قال: ما دينك. قال النصرانية. قال: فاعرضها عليّ، فعرضها فتنصّر المنذر وتنصر معه اهل الحيرة جميعاً. أمّا حنظلة فإنه تنسك وبنى ديراً بالقرب من شاطئ الفرات ويعرف بدير حنظلة وترهب فيه حتى مات. (١) وفي هذا الدير يقول عبد الله بن محمد الامين عندما نزل فيه:

الا يا دير حنظلة المفدى
لقد أورثتني سقماً وكداً

اما الشعر فلقد وردت فيه كلمات والفاظ ذات دلالة دينية مثل الشبر وهو القربان، والانجيل ايضاً والوثن التي استعملها الاعشى بمعنى الصليب والسبار هو عيد دخول جبريل على مريم مبشراً

(١) شعراء النصرانية ج ١ ص ٨٩-٩١ والعرب قبل الاسلام ص ٢٠٨

بالمسيح، والقلنداس: رأس السنة وغيرها كثير وقد جاء في لسان
العرب معان لأبيل: وهو رئيس النصارى وقيل صاحب الناقوس
وقال ابن عبد الجن

أَمَّا وَدَمَاءِ مَائِرَاتٍ تَخَالِهَا
عَلَى قَنَّةِ الْعَرْزَى أَوْ النَسْرِ عِنْدَمَا
وَمَا قَدَسَ الرَّهْبَانِ فِي كُلِّ هَيْكَلٍ
أَبِيلُ الْأَبِيلِينَ الْمَسِيحِ ابْنِ مَرْيَمَ^(١)

والفعل أبل يأبل اي تنسك وترهب وقال ابو الهيثم والأبيل
صاحب الناقوس ينقس النصارى بناقوسه اي يدعوهم الى
الصلاة وانشد:

”وَمَا صَكَ نَاقُوسَ الصَّلَاةِ أَبِيلُهَا“^(٢) والاييلي: الراهب وانشد
الفارسي بيتاً للاعشى:

وَمَا أَيَبَلِيَّ عَلَى هَيْكَلٍ
بَنَاهُ وَصَلَّبَ فِيهِ وَصَارَ^(٣)

يقول: ليس من راهب بنى هيكلًا أو كان قيمًا عليه الا صلّب
فيه وقُدس. وقد يكون المعنى أَنَّ أَيَّ رَاهِبٍ رَعَى كَنِيسَةً أَوْ هَيْكَلًا
فإنه لا بد أن يضع فيه صليبا وصورة لقديس.

(١) لسان العرب

(٢) لسان العرب

(٣) لسان العرب

وكان للدين مقامات وأبنية للعبادة عند العرب: منها المسجد والمعبد والمصلى والمنسك والمحراب وهو صدر الكنيسة وعيد الموقف اي العنصرة، وكانت المنارة تسرج في الكنائس، وكانوا يشيدون لها ابراجاً مستديرة، يقرعون فيها النواقيس، اما كلمة حوارى فحبشية معناها الرسول، وكذلك الوثن والفارقليط: الروح القدس^(١).

بعد هذه المقدمة ننتقل الى البحث في الشعر الذي وصلنا القليل منه، لعلنا نتبين ما تضمنه هذا الشعر من معانٍ وردت في الانجيل سواء كانت تصريحاً او تلميحاً، والشعراء على كثرتهم، لم يأتنا الرواة عنهم بما يمكننا من ان نطيل الدرس ونغوص الى الاعماق لنستخلص المعاني ونرى الالفاظ، والسبب على ما أظن ليس في الرواة والمؤلفين وحسب، بل في طبيعة المجتمع البدائي الذي كان يقوم على الكرامة وعزة النفس والشعور بالحرية والمنعة، والنخوة والنجدة واقراء الضيف، وايواء الضال والترفع والاباء والشهامة والشجاعة إذ كان اعظم العار أن يُنعت الرجل بالجبن لهذا كثر الاخذ بالثأر وممارسة الكر والفر، ولهذه الاسباب، ولغيرها وسيأتي الحديث عنها، لا نجد في شعر الفرسان خاصة أبياتاً تشير الى الدين والايمان، كشعر كليب وعمرو بن كلثوم الذي قال مفاخرًا:

(١) النصرانية وأدائها ص ١٧٥ و ٢١٤ .

إذا بلغ الفطام لنا صبي تخرّله الجبابر ساجدينَا

لهذا فإنّ ما وصلنا من شعرهم لم ينبض كله بالروح المسيحية، ذلك ان الانسان ابن بيئته مهما طرأت عليه تأثيرات المجتمعات الأخرى وآراؤها ومعتقداتها، والبدوي يعيش في مجتمع متعارف على عادات وتقاليده، وهي بالنسبة له ثوابت لا يتخلّى عنها، والأنبذه المجتمع وانه من غير المعقول ولا المقبول أن ننتظر من الانسان العربي الجاهلي ان يعيش في الحواضر ويتخلّى عن تقاليده وثوراته. كما انه من غير المعقول ان يتبدى الحضري المتمسك بالحريّة والقوانين ويعمد الى حل مشاكله بنفسه كالأخذ بالثأر والغزو في سبيل الرزق والحرب من أجل الحميّة، والذود عن الحياض، ولو كان في المدن، ألم تحصل الحرب بين اثينا واسبرطة من جرّاء خطف امرأة، ذلك المجتمع اليوناني، وان كان يعيش في المدن ويُعتبر ذا حضارة، فانه ما زال الى تلك الاثناء بدويًا قُبليًا، تشدّه الى بعضه روابط الدم والرحم والقربى، وهكذا كان المجتمع الجاهلي قُبليًا وان انحدرت قبائله من أب واحد، فبكر وتغلب اخوان تشكلت منهما قبيلتان كبيرتان ووقعت بينهما حرب عوان دامت ايامًا وَايامًا فلا يتوقعن أحد ان يتخلّى الشاعر المتنصر عن عاداته وتقاليده، فالمهلل كان مسيحيًا اذ تنصرت قبيلته ربّيعة في اوائل القرن الرابع، وعمر بن هند وعمر بن كلثوم وجساس بن مره كانوا نصارى، ومع ذلك فإنّ

أحدًا منهم لم يتخلَّ عن مبادئه ويأخذ بالتسامح بدل الثأر والقتل،
وبالمحبة بدل البغضاء، وبالوفاء بدل الغدر الا حنظلة الطائي،
وإننا نستعرض شعر عدد من الجاهلين متوخين ان نختار شاعرًا
من كل قبيلة اذا أمكن، لنُحلَّ شعره شكلا ومضمونا، حتى نتبيّن
معالم المسيحية من خلاله، ذاكرين نبذة عن حياته عاكفين على
البحث والتدقيق للوصول الى ما نحن بصددده.

أمرؤ القيس من ٥٠٠-٥٤٠م

من الشعراء الذين وصلنا من شعرهم ما يدلّ على أنهم عرفوا النصرانية أمرؤ القيس بن حجر الكندي والقابله كثيرة فهو الملك الضليل وذو القروح واسمه جندح ولد في بيت عريق في نجد سنة ٥٠٠م فابوه ملك بني أسد، وامه اخت كليب ومهلل ابني ربيعة. شبّ في النعيم فعافر الخمر وغازل النساء وقال الشعر مشبّها فطرده أبوه. فخرج في زمرة من اخلاط العرب يرتادون الرياض والغدُر، يتنقلون من مكان الى آخر طلبا للماء والكلأ، وظلت هذه حالهم حتى بلغوا دُمون من أرض اليمن وهناك أتاه نعي أبيه وقد اغتاله بنو اسد فقال: "ضِيعَنِي ابي صغيرا وحملني دمه كبيرا، لاصحو اليوم ولاسكر غدا اليوم خمر وغدا أمر. وعقد العزم على ألا يأكل لحما ولا يشرب خمرا ولا يَتَطَيَّبَ حتى يقتل من بني اسد مائة ويجزّ نواصي ماءه، وشرع يؤلب القبائل على بني اسد، وكلما ساروا الى مكان تبعهم، ولما قرر ان يتابع حربه ابت بكر وتغلب الاستمرار وقالوا له قد أصبت ثأرك فقال والله ما فعلت، ولما تخاذلت القبائل، الح المنذر بن ماء السماء في طلبه لحقد كان لديه على قومه فلجأ الى السموأل بن عادياء اليهودي وادع لديه دروعه واسلحته وامواله وأخته هند وسار الى القيصر بمساعدة الحرث الغساني، فلما بلغ قيصر الروم اكرم وفادته وجهزه بجيش سار به ولكن القيصر استدعاه لان الطماح الاسدي وشى به الى القيصر. ثم عاد أمرؤ القيس ولما وصل انقره وصلته

حلة موشاة بعث بها القيصر اليه فلبسها، فتقرح جسمه من السم ومات في انقره سنة ٥٤٠ م وقد صَوَّر ما حصل له بعد ان لبس الحلة:

وما خفتُ تبريحَ الحياة كما أرى
تضييق ذراعي أن أقوم فألبَسَا
فلو انْهانا نفس تموت سويّة
ولكنّها نفس تساقط أنفسا

وهذا البيت الأخير اوحى لأبي نواس بأن يقول : وأراني أموت
عضوا فعضوا كما اوحى لابن الرومي بأن يقول:

وظل على الأيدي تساقطُ نفسه
تساقطُ دَرَمَن نظام بلا عقد

ومن الطُرف التي تُروى عنه أنه آلى على نفسه ألا يتزوج امرأة حتى يسألها عن ثلاث: ما ثمانية واربعة واثننتان. وكانت الفتيات يجبن، اربعة عشر، وبينما كان يسير في الليل، رأى رجلاً يحمل ابنة صغيرة فأعجبه فسألها: ما ثمانية واربعة واثننتان؟ فقالت: أمّا الثمانية فأطباء الكلبة واما الاربعة فأخلاف الناقة واما الاثننتان فثديا المرأة، فخطبها الى ابيها فزوجه اياها، وشرطت عليه ان تسأله عن ثلاث، وكان ارسل اليها هدايا فقالت للغلام الذي سألها عن ابيها وامها واخيها...فقالت أمّا أبي فذهب يقرب

بعيدا ويُبعد قريبًا وامي ذهبت تشق النفس نفسين وأخي يراعى
الشمس وان سماءكم انشقت ووعاءكم نضبا، فأعلم سيدك عن
ذلك. فأعلمه فقال: أمّا قولها أبي ذهب يقرب بعيدًا، فان اباهـا
ذهب يحالف قومًا على قومه، وامها ذهبت تشق النفس نفسين
فقد ذهبت تقبل امرأة نفساء وأخوها ينتظر غياب الشمس ليؤوب
وان سماءكم انشقت، اي الثوب الذي ارسلته انشق ووعاءكم نضبا
أي ان نحبي السمن والعسل اللذين ارسلتهما لها نقصا. هذه طرفة
من طرف تفيد القارئ لان مثل ذلك ضروري حتى في كتب
الهندسة كما يقول الجاحظ.

وبعد موت امرئ القيس جاء الحارث بن أبي شمر الغساني
يطلب المودعات فأبى السموأل. وقال بعض المؤرخين: إنه أبى
وفاءً وضحى بابنه ونحن نرى ان ذلك كان لأحد امرين: إما خوفًا
من ان يكون امرؤ القيس حيًا فينتقم منه واما طمعا بالمودعات
كما يقول آخرون وربما كان ذلك للأميرين معًا. أما ان يكون وفاء
فأمر مشكوك فيه وخاصة ان يكون اليهودي وفيًا.

ولد امرؤ القيس يمنيًا ونشأ نجديا وشبّ في بني اسد فسمع
الرواة وحفظ الشعر وقرضه، وكان جيد السبك جزل الالفاظ بديع
الخيال بليغ التشبيه وكان سريع الخاطر فطنا ذكيا وانك لتجد
شعره أضواء على حياته.

تنقل امرؤ القيس بين اليمن ونجد والحيرة واقام في كندة وطي
وربيعة وتغلب وكانت النصرانية شائعة هناك وكان كليب
والمهلل خاليه فلا عجب ان يتأثر بهما، وكان ذكيا واسع الخيال
عميق الشعور صادق متقن التصوير أخذ الشعر عن خاله ونبغ فيه.

يتضح من شعره أنه خالط الرهبان ووصف صوامعهم
وانقطاعهم الى الله، ومناراتهم في الصحارى وشبهها بنور
الحبيبة الذي يجلو الهم ويذكي جذوة الأمل في القلب الذي سودته
الاحداث. فكما تنير بسمة الحبيبة وإطالتها جوانب النفس
المكتنبة كذلك تضيء منارة الراهب ظلام الصحراء فيهتدي
الضال ويأوي الى الخيمة ريثما يطلع النهار وهناك يستمع التائه
الى الراهب يقرأ الانجيل:

تضيء الظلام بالعشي كأنها
منارة ممسي راهب متبتل

كان امرؤ القيس يحب السكون والهدوء ويشيح عن الحرب التي
يعرف المرء متى تبدأ ولكنه يجهل متى وكيف تنتهي، ولكنه اذا
اضطر الى خوضها فلا يتأخر.

الحرب أول ما تكون فتية
تبدو بزيئها لكل جهول
حتى إذا حميت وشب ضرامها
عادت عجوزا غير ذات حليل

ما اروعه من تشبيه وتصوير للحرب التي تبدأ كأنها زينة
للرجال وليس خاطفتهم واذا تأملت البيتين قಾದك الخيال فرأيتها
فتاة رشيقة جميلة تخلب الابصار فاذا امتد بها الزمن تجعدت
بشرتها وفارقتها نضرتها وترملت فلم يعد يهمها شيء فتلتهم ما
تراه في طريقها. ومن لم يمارس الحرب استطابها لجهله بها، فاذا
طالت شاخت وياتت شمطاء داهية تبحث عما يشبع نهمها.

شمطاء جَزَتْ رأسها وتنكرت
مكروهةً للشم والتقبيل

ما ابشع المرأة المسنة اذا سقط شعرها فيكره الانسان الاقتراب
منها. وما الحرب، الحرب تتنكر للحب وتولد الشر والبغضاء
والنقمة والثأر، فلماذا لا نتحاشاها؟ أليس في هذه الابيات دعوة
الى السلام؟ أليس فيها نفحة مسيحية؟

الى ذلك ذكر امرؤ القيس الكتب وهذا يدل على ان الجاهلي كان
يعرف القراءة وربما الكتابة وذكر ان اهل اليمن كانوا يكتبون
على سعف النخل.

لمن طلل أبصرته فشجاني
كخط زبور في عسيب يمان^(١)

(١) الزبور: الكتاب. عسيب: سعف النخل

هذا الطلل الذي يكاد لا يظهر اثره قد ذكره بالماضي فإنه يشبه الخط الذي كاد يحويه الزمن عن سعة النخل وقد كرّر ذلك في بيت آخر مما يدلّ على أنه كان يصغي الى قراءة الكتاب المقدّس:

أتت حججٌ بعدي عليه فأصبحت
كخط زيور في مصاحف رهبان

وهذا الطلل بات كخط كتاب، أو كخط باهت في انجيل الرهبان لكثرة ما مرّرت عليه الأنامل والطلل لكثرة ما حجّ اليه العشاق من بعده. إنه يصف الرهبان ومصاحفهم ويترك لهوه، لان رشده ردّ اليه، فعكف على العمل الصالح اينما حلّ وارتحل:

والله أنجح ما طلبت به
والبر خير حقيبة الرحل

فالله خير ملاذ وافضل ملجأ، يحتضن فاعل الخير اينما كان. ومما يدلّ على ايمانه بالله ونصرانيته أنه حلّ لنفسه شرب الخمرة التي كان اليهود يحرمونها، وسمح بها المسيح. فلما لم يعد له شغل يشغله عن شربها، شرع يشربها لان شربها لا يخالف معتقده:

حلّت لي الخمر وكنت امراً
عن شربها في شغل شاغل
فالـيوم أسقى غير مُستحقب
إثمًا من الله ولا واغل

شرب الخمرة لا يكسبه إثمًا والله لن يعاقبه لانه يفعل الخير
ويجب البرّ وأما الحرب فيكرهها، ولا يخوضها الا مرغمًا، وهو
رجل شهم عزيز النفس لا يتطفل على الشاربين ولا يشاركهم
معاقرة الخمر.

وفي معرض رحلة صيد، يصف الكلاب تحيط بحمار الوحش
إحاطة السوار بالمعصم حتى لا يفلت، ويقرب الصورة حتى تكون
في متناول الجميع فيشبه المشهد باولاد يحيطون بالراهب
ويتمسحون بثوبه.

فادركنه يأخذن بالساق والنسا
كما شبرق الولدان ثوب المُقدّس

لماذا شبه كلاب الصيد حول حمار الوحش بالاولاد حول
الراهب؟ اليس لان المشبه به أمر مألوف وصورة مُشاهدة كثيرًا؟
صورة الفها الناس وتأثر بها الشاعر لان الرهبان والاديرة لم
تغب عن ناظره، وقد كثرت البيع في الاماكن التي اقام فيها
فوصف، وتأثر بتعاليم النصرانية وبحكاية الخلق منتسبًا الى آدم
الذي سماه عرق الثرى مؤكّدًا ان كل ولده سيلحقون به:

الى عرق الثرى وشجّت عروقي
وهذا الموت يسلبني شبابي
ونفسي سوف يسلبني وجرمي
فيُلحِقني وشيكًا بالتراب

ينتسب الشاعر الى آدم وكأنه يقول: عرفنا العهد القديم كما عرفنا العهد الجديد فأدم أبو البرية ولكن الموت لا يترك نضارة، ولا راءً، فسوف يفصل نفسه عن جسمه فيعود جسمه الى التراب وكأنه تأثر بقول المسيح: من التراب والى التراب تعود، لان الجاهلي لم يكن على علم بتحلل الاجسام.

ويصف الراهبات ويصور ألبستهن والأنسجة الطويلة الاذيال

فَأَنْتُ سَرَبًا مِنْ بَعِيدٍ كَأَنَّهُ
رَوَاهِبُ عِيدٍ فِي مَلَأٍ مَهْدَبٍ

كان امرؤ القيس في تشبيهاته يقرب البعيد من الازهان وذلك بتشبيهه بالقرب المألوف والمعنى ان الرهبان والراهبات كانوا من المشاهد المألوفة في الجاهلية. وقد صور ايضا اضاءة الرهبان للمصابيح ليهتدي بها عُبَاد النصارى في ظلمة الدرب:

نَظَرْتُ إِلَيْهَا وَالنَّجُومُ كَأَنَّهَا
مَصَابِيحُ رَهَبَانٍ تَشَبَّ لَقْفَالٍ

لا يقدر الانسان ان يعاكس قناعاته، او يتبنى ما يخالفها. وان خالفها مرة فلا يستطيع ان يخالفها أكثر من مرة وما ورد على لسان امرئ القيس يوضح انه عايش الاديرة والرهبان وحضر القداديس ودخل الكنائس، والافكيف استطاع ان يصور ما صور بدقة ملاحظة وسعة خيال ودفء شعور؟

حاتم الطائي سنة ٦٠٥ م

هو حاتم بن عبد الله بن سعد... بن طيء توفي سنة ٦٠٥ م وقيل انه عاش في بيت جود وكرم وغنى وشهامة وعزة نفس فعُرف بهذه الصفات وخاصة الجود والشجاعة، حتى ضرب به المثل. وقد وصفته ابنته لما وقعت في الاسر قالت: "يا محمد، هلك الوالد وغاب الوافد. فان رأيت ان تخلي عني فلا تشمت بي احياء العرب، فاني بنتُ سيد قومي. كان أبي يفكّ العاني ويحمي الدمار، ويقري الضيف ويشبع الجائع ويفرج عن المكروب ويطعم الطعام ويفشى السلام ولم يردّ طالب حاجة قط. انا بنت حاتم الطائي. فقال... خلوا عنها"^(١).

وام حاتم عتبة بنت عفيف بن عمرو... بن أخزم وكانت في الجود بمنزلة حاتم فورث عنها ذلك. كانت من اسخى النساء وكانت ذات يسار تقري الضيف وكانت لا تملك شيئاً إلا اتلفتته في العطاء فحجر عليها إختوها زمنا ولما ظنوا انها اقلعت عن ذلك اعطوها، فجاءت امرأة من هوازن تسألها فمנحتها الابل.

اكتنفت حاتما الاساطير وقيل بُشّرت به أمه قبل مولده كريماً سمحاً ووصفه ابن الأعرابي قال: كان حاتم من شعراء العرب يشبه شعره جوده ويصدق قوله فعله، وكان حيثما نزل عُرف منزله، وكان مُظفراً اذا قاتل غلب واذا غنم انهب واذا سئل وهب،

(١) شعراء النصرانية ج١ ص ٩٨

واذا ضرب بالقداح فاز واذا سابق سبق واذا أسَرَ اطلق وكان ينحر
ويطعم، وكان محبا عطوفا مسامحا يكره الايذاء فاذا وقع بين
يديه وحيد لامه عفا عنه اذ كان يقسم الا يقتل واحد أمه:

أَمْـاويَ إِنِّي رُبَّ وَاحِدٍ أَمْـه
أَجَرْتُ فَلَا قَتْلَ عَلَيْهِ وَلَا أَسْرُ

اليس هذا من مكارم الاخلاق؟

وقيل بَصُرَ بركب وهو يرعى إبله، فاتاهم، فسألوه عن قِرَى،
فنحر لهم ثلاثة من الابل، وكان الركب: عبيد بن الابرص ويشر
بن ابي خازم والنابعة الذبياني، فقال عبيد: إنما اردنا بالقري
اللبن، وكانت تكفينا بكرة، اذا كنت متكلفا لنا شيئا. قال: رأيت
وجوها مختلفة فظننت ان البلدان مختلفة، فأردت ان يذكر كل
منكم ما رأى إذا اتى قومه. وهذا قليل مما ذكرته الكتب عن حاتم.

اما شعره ففيه صراحة وفخامة، وتحليل وتعليل يخلصان بك
الى النتائج وينقلانك الى ارض الواقع. اسمعه يخاطب زوجته:

أَمْـاويَ إِنِّ الْمَالَ غَـارٍ وَرَائِـحُ
وَيَبْقَى مِنَ الْمَالِ الْـحَادِثُ وَالذَّكْرُ

ماذا ينفعُ المال؟ هل يستطيع احد أن يحمله معه الى الآخرة
المال عارية تجيء وتذهب ولا يبقى للمرء الا الذكر الحسن.

أماويَ إن يصبح صداي بقفرةٍ
من الارض لا ماء هناك ولا خمرُ
تري أن ما أهلكك لم يكُ ضرني
وأن يدي مما نحت به صفرُ

مال الدينا يبقى في الدنيا فلماذا ينحل الانسان وهو على
يقين ان كل حي سينزل حفرة ويهاال عليه التراب. فلماذا لا يعطي
الانسان مما اعطاه الله. وقد قال المسيح من عنده فليعط من ليس
عنده.

كان حاتم نصرانياً، يحب الخير للناس، ويستسقي لهم المطر
طالباً من الله غزير المطر وديمومته، وهذه نظرة الانجيل الى
الحياة، "احبوا بعضكم بعضاً" وعاملوا الناس كما تريدون أن
يعالكم الناس، وقد حث على الخير والاخاء، وعلى التكاتف
للتغلب على صعوبات الحياة:

سقى الله ربُّ الناس شحاً وديمةً
جنوبَ سراقٍ من مآب الى زغرُ

وقد ورد هذا المعنى لدى المعري الشاعر الضريع وقد يكون
المعري قد مرَّ بهذا البيت:

فلا هطلت علي ولا بأرضي
سحائب ليس تنتظم البلادا

لكنّ حاتما مع كل سماحه وتسامحه وعفوه عند المقدرة، لم يكن يسكت عن اهانة ولم يكن ينام على ضيم ولا يهون امام أي هجوم مهما كان المهاجم، فعندما وثب عليه سعد بن حارثة بن لأم أهوى عليه حاتم بالسيف فأطار أرنبه أنفه، وكأني به ندم على فعلته فقال مقسما بالله أنه تمنى لو كان انف سعد هواء لمرّ السيف ولم يصل الى العظم ولكن ما العمل وقد أبّ سعد فاصاب السيف أنفه حتى وصل الى العظم.

وددتُ وبیتِ الله لو أن أنفه
هواءً فماتَ المخاطُ عن العظم
ولكنّما لاقاه سيف ابن عمّه
فأبّ ومرّ السيف منه الى الخُطم^(١)

وهذا يعيد الى الازهان صورة بطرس الذي قطع اذن عبد رئيس الكهنة، فاعادها المسيح الى مكانها. صورتان متشابهتان متباعدتان.

كان حاتم كغيره من قبيلة طي مؤمنا يحبّ الوفاء ويكره الغدر ويرفض المال الذي يخالطه الغشّ والكيد، المال الذي يُجتنى بالغدر والحيلة كالمال الذي لا يعرف الانسان من أين جاء وكيف؟

(١) أبّ: تحرك. الخُطم: الأنف.

ولا أشتري مالاً بغدر علمته
الأكلُ مالٍ خالط الغدرُ أنكدُ
إذا كان بعض المال رياءً لأهله
فإنني بحمد الله مالي مُعبَّدُ

وربما كان هذا المعنى مقتبساً من قول المسيح: لا يقدر
الانسان ان يعبد الله والمال، لا يقدر ان يخدم سيدين: الله والمال،
ومال حاتم موزع على المحتاجين. ألم يقل المسيح للغني اذا اردت
ان تدخل ملكوت السماوات اذهب وتصدق بأموالك على الفقراء ثم
تعال واتبعني.

ما نفع المال اذا كان يُجمع ويُمْنَع، أليس لمساعدة المُعْوِزِ،
وفكِّ الاسير واقراء الضيف؟

يُفَكُّ به العاني ويؤكل طيِّباً
ويعطى اذا منَّ البخيلُ المطرَّدُ

البخيل المتشبث بالدنيا ومتاعها وحطامها، يحتفظ بالمال
وكأنه خالد. وفي المعنى عينه يقول أليس بالمال يصون الانسان
عرضه وهل خلد البخل احداً، وهل يوصي المرء ظناً منه انه
سيعود الى الحياة، فليعط دون تردُّد ومن عنده ثوبان فليعط من
ليس عنده. وعلى اية حال، فالمال سيتبدد ان انفقناه في سبيل
الخير او اكتنزناه:

ذريني يكن مالي لعرضي جنة
يقى المال عرضي قبل أن يتبددا
أريني جوادًا مات هزلًا لعلمي
أرى ما ترين او بخيلًا مخلدًا

مصير كل انسان حي الى التراب فقيرًا كان أو غنيًا، والمال هو
وسيلة لراحة الانسان جسديًا ونفسيًا، يذهب مرة ويجيء أخرى
ولا يبقى بعد ان نفارق هذه الفانية الا الذكر الحسن اذ لا يصطحب
ابن آدم شيئًا معه الى القبر، والناس صنفان اما مانع واما معطٍ

أماوي إمامانع فمبئىن
واما عطاء لا يُنهيه الزجر
أماوي ما يغنى الثراء عن الفتى
إذا حشرجت نفس وضاق بها الصدر

كاني به يقول: ان المفسد للمال كالمانع له كلاهما يزول،
فلماذا البخل وهل منع المال الموفور الموت عن الناس ام هل ردّ
ميثا من القبور، اذا حضرت شخصًا الوفاة فان المال لا يقدم ولا
يؤخر.

كثيرًا ما كان حاتم يغض الطرف ويشيح عن المسيء، فاذا رأى
الشرفي عين من له وجهان تجاهله محافظة على شرفه ودينه،
لان من له وجهان له لسانان فهو يطري عليك أمامك ويلحوك
عندما تعطيه ظهره.

نظرت بعينه فكففت عنه
محافضة على شرفي وديني

أحس حاتم ان الرياء ظاهر في عينيه فاشاح عنه ترفعا حتى
لا يتلوث شرفه ولا يمس دينه بكلمة سوء ويسألها ألا تلومه على
ذلك فإذا فعلت قال لها لوميني على عدم اقراء الضيف، لوميني
إذا لم اعامل الناس كما يعاملونني

فلوميني إذا لم أقر ضيفا
وأكرم مكرمي وأهن مهيني

كان دينه يمنعه من مشاتمة الناس وكذلك حسبه العريق
وكان على خلق كريم لا يقنع من الحياة بالمطعم والملبس
فالقانع بهما ضعيف جبان يتكل على غيره:

لحي الله صعلوكا مناه وهمه
من العيش ان يلقي لبوسا ومطعما
ولله صعلوك يساورهمه
ويمضي على الاحداث والدهر مقDMA

حاتم رجلٌ شهم يعرف ما له وما عليه ولا يخون صديقه
خاصة إذا كان وفيًا محبا مخلصا.

الله يعلم أنني ذو محافضة
ما لم يخنني خليلي يبتغي بدلا

حاتم لا يغدر بجاره ولا يخونه، فاذا تغيّر الخليل فانه يتغير
ولكنه لا يكون البادىء لان الظلم بالظلم والبادىء أظلم، انه لا
يخون جاره ولا يفضح جارته

أفصح جارتى واخون جارى
معاذ الله أفعل ما حيت

ولماذا يترك ذكرا سيئا طالما أنه سيموت ويضمّه الضريح.

واني وان طال الثواء لميت
ويعطمني ماوي بيت مسقف

كل حي مصيره الى الهلاك مهما امتدّ به العمر فيحتويه بيت
مسقف وكان العرب يسمون القبر بيتا وهذا القبر المسقوف
سيُعظمه، سيهلكه لان فيه يتحلل جسده ويعود الى العناصر.

تظهر عقيدته المسيحية وايمانه بجلاء في بعض ابياته، فاذا
حللناها وجدنا انها تتطابق مع اقوال المسيح وتعاليمه، ذلك انه
لم يكن يهتم بالغد لان الغد يهتم بما لنفسه، انظروا الى طيور
السماء فانها لا تختزن والله يطعمها، فلماذا تدخرون للغد، صلوا:
خبزنا كفافنا اعطنا اليوم.

كلوا الآن من رزق الاله وأيسروا
فإن على الرحمن رزقكم غدا

أليس ما جاء في هذا البيت مطابقا لما جاء في الانجيل، أليس مطلوباً منا ان لا تعرف يميننا ما تفعل يسارنا، فلو كان العطاء رياء لانكشف، والانسان المؤمن يعطي حباً.

فلو كان ما يُعطى رياء لأمسكت
به جنبات اللوم يجذبونه جذبا
ولكنما يبغى به الله وحده
فأعطى فقد أربحت في البيعة الكسبا

لا شك أن حاتما كان مسيحيا فهو يُعطي المحتاج لوجه الله وحده، لا طمعا بمردود ولا بمدحة عليه تعود ولو كان كذلك لأنهل عليه اللوم ولاستحقه، فمن يعطى يكسب اجرا فكيف اذا كان عطاؤه للكنيسة او الدير فان اجره عند الله لعظيم.

جاء في الانجيل ان المسيح أقام اليعازر من الموت، بعد أن مضى على موته ثلاثة أيام وقد أقام غيره. ويفاعل العجائب أقسم حاتم انه كان يبيت على الطوى حتى لا يقال لثيم لكل، وترك غيره جائعا.

أما والذي لا يعلم الغيب غيره
ويُحيي العظام البيض وهي رميم
لقد كنت أطوي البطن والزاد يُشتهي
مخافة يوماً أن يقال لثيم

من أحياء العظام وهي رميم، أي من أقام الموتى غير المخلص، المسيح الذي حبلت به مريم من الروح القدس، ومن يعلم الغيب غير الكلمة الذي كان في البدء. وقد وردت آية في القرآن تحمل المعنى عينه واللفظ "سبحان من يحيي العظام وهي رميم." وإلى مثل هذا أشار ابن عباس إذ قال: "إذا قرأتم شيئاً من كتاب الله، فلم تفهموه، فاطلبوه في أشعار العرب، فإن الشعر ديوان العرب، وكان إذا سُئل عن شيء من القرآن أنشد فيه شعراً." ^(١) ومن يطالع شعر حاتم يلمس النزعة الدينية متمثلة في الاخلاق والتصرفات والسيرة الطيبة التي عكسها شعر حاتم، وشعر الانسان اضواء على حياته فشعره صورة صادقة لحياته ومعتقداته.

(١) العمدة لابن رشيقي ج ١ ص ٢٠

حنظلة الطائي (٥٩٠ م)^(١)

هو حنظلة بن ابي عفراء..بن طيء. كان نصرانياً مؤمناً وفيما لدينه وتعهدهاته، لم يغدر ولم ينكث عهداً وهو الذي كان وفاؤه سبباً في تنصّر المنذر بن ماء السماء صاحب الغريين وقد مرّ ذكره ولكن يجدر بنا ان نذكر ولو باقتضاب شديد بعض ما تميّز به. لقد اثرى بعد حكايته مع المنذر الذي تبنّى النصرانية في مملكته بسببه، فبنى ديراً بالقرب من نهر الفرات وتنسك فيه وترهب وظل فيه حتى وافاه الأجل.

نزل محمد الامين في الدير فقال:

ألا يا دير حنظلة المفدى
لقد اورثتني سقماً وكداً
الا يا دير جاءتك الغوادي
سحاباً حملت برقاً ورعداً
يريد بناؤك النامي نماء
ويكسو الروض حُسناً مستجداً

كان حنظلة شاعراً في الجاهلية ولم يصلنا من شعره إلا القليل ومنه صورة جميلة للقمر الذي يشبه تطوره من كونه هلالاً الى

(١) شعراء النصرانية ج ١ ص ٨٩

تحوّله محاقاً بالانسان الذي يولد طفلاً ويشبّ ويصبح رجلاً
يتدرج الى الكهولة فالشيخوخة وهو يرى قمر الليل كالفتى.

يهلّ صغيراً ثمّ يعظم ضوءه
وصورته حتى اذا ما هو استوى

واصبح بدراً ثم أخذ يصغر شيئاً فشيئاً ويضمحل

كذلك زبدُ الأمر ثم انتقاصه
وتكرارُهُ في اثره بعدما مضى
فلا ذو غنى يرجين من فضل ماله
وان قال أخّرني وخذ رشوةً أبى

كأنني بالشاعر يحث الانسان على التأمل في الحياة
ويستخلص العبر فالقمر يبدأ هلالاً ثم ينمو ويصبح بدراً ثم يصغر
قليلاً قليلاً حتى يصبح كالعرجون القديم وهكذا الانسان لا ينفعه
ماله لان كل شيء بمقدار واذا انتهت الساعة فلا يقْدَم ولا يؤخر.

يزيد بن عبد المدان (٦١٥ م)

هو يزيد بن عبد المدان بن الديان بن مَدَحَج المتوفى سنة ٦١٥م وينتمي الى سبأ. كان من أشراف اليمن وكان قومه بنو عبد المدان قد بنوا كعبة نجران وعظموها مضاهاة للكعبة، وسموها كعبة نجران، وكان فيها اساقفة، وكان ملوك الروم في القسطنطينية يمدونهم بالأموال لتشديد البيع (الكنائس والاديار) وتعليم الصغار، وكان اذا أمّها خائف أمن، او طالب حاجة قُضِيَتْ، او مسترشد أُرْفِد، وكانت على نهر نجران، وكانت لعبد المسيح بن دارس بن عدي الذي كان يستغلّ من ذلك عشرة آلاف دينار، وكانت القبة تستغرقها.^(١) وقد ذكرها الاعشى واميه بن ابي الصلت.

وفي حكاية يزيد ايضاً انه قال له ابن جفنه: ماذا كان يقول الديان اذا أصبح فإنه كان ديّاناً، فقال: كان يقول: آمَنْتُ بالذي رفع هذه يعني السماء، ووضع هذه يعني الارض، وشقّ هذه يعني اصابعه، ثم يخرّ ساجداً ويقول سجد وجهي للذي خلقه فاذا رفع رأسه قال:

إِنْ تَغْفِرَ اللَّهُمَّ فَاغْفِرْ جَمًّا
وَإِيَّ عَبْدَكَ لَا أَلَمًّا^(٢)

(١) راجع شعراء النصرانية ج ١ ص ٨٢

(٢) هذا البيت ينسب لابي خراش الهذلي. راجع عقود الدرر في شرح شواهد المختصر، ص ٢٩ وقد اورده الاب شيخو في شعراء النصرانية منسوبا الى الديان المذحجي.

يقول ان اردت يا الله أن تغفر فاغفر ذنوبنا جميعها فان
عبادك يذنبون وليس من أحد لم يذنب. قال ابن جفنة: ان هذا لذو
دين. ومهما يكن فان حكاية يزيد هذه تدل على انه كان مؤمنا
بالله ليس هو وحده بل قبيلته مَذْحِج، فمن يشيد كعبة للعبادة،
عبادة المهيمن القدير ويبذل في سبيل ذلك الاموال، لا بد ان يكون
مؤمنا مقتنعا بدينه وتعاليم دينه، ويزيد سيد قومه وقومه بنوا
الكنائس، الا يكفي هذا العمل للدلالة على نصرانية مَذْحِج.

البراق سنة (٤٧٠ م)

من شعراء ربيعة في نجد والحجاز: البراق وليلى العفيفة وكليب والمهلل، غير أن هؤلاء سيطرت عليهم العزة والكرامة والتباهي بالقوة والرجولة والشجاعة وعدم الخوف من الموت، بل الخوف والخزي من كلمة جبان، وألهتهم الثارات عن الخوض في الشعر والافصاح عن مكنونات قلوبهم ويبعد تاملاتهم ودينهم والايمان به وهم، وإن كانوا نصارى، فإن كثرة الحروب والثارات والمباهاة بمحو العار، لم تفسح لهم في مجال وصف الحالة الاجتماعية والثقافية والدينية، فركزوا على الحياة الفردية والقبلية.

هو ابو نصر البراق بن روحان من ربيعة ، كان شاعراً فارساً شهيراً، وقد جاء في جمهرة العرب، أنه كان في صغره يتبع رعاة الابل ويحلب اللبن ويأتي به الى راهب حول المراعي، فيتعلم منه تلاوة الانجيل، وكان يدين بدينه، وكان لعمه لكيز بن أسد ابنة حسنة الوجه كثيرة الادب وافرة العقل، فوعده بها، إلا أن عمرو بن ذي صهبان ابن احد ملوك اليمن خطبها فلم يعرف لكيز كيف يرده.

كانت ليلي تكره ان تخرج من قومها، وتود لو أن اباهاً زوجها بالبراق الذي كانت تدين بدينه، ولكن ابن كسرى كمن لها

وخطفها حتى لا تتزوج من عمرو ذي صهبان. عذَّبها الفرس
وضيَّقوا عليها فاستصرخت أهلها بقصيدة استهلتها بقولها:

لَيْتَ لِلْبَرَّاقِ عَيْنًا فَتَرَى
مَا أَقْصَى مِنْ بَلَاءٍ وَعَنَا
يَا كَلِيبًا يَا عَقِيلًا اخُوتِي
يَا جَنْيَدًا سَاعِدُونِي بِالْبُكَاءِ
عُذِّبْتُ اخْتَكَمْتُ يَا وَيْلَكُمْ
بِعَذَابِ الْفُكْرِ صَبِحًا وَمَسَاءً
يَكْذِبُ الْأَعْجَمُ مَا يَقْرِيْنِي
وَمَعِيَ بَعْضُ جِسَاسَاتِ الْحَيَاةِ

والقصيدة ما زالت تغنى.. فلما بلغ البراق ذلك قال

أَمِنْ دُونِ لَيْلَى عَوَّقَتْنَا الْعَوَائِقُ
جُنُودٌ وَقَفَرَتْ رَتَعِيهِ النِّقَانِقُ
وُجُمٌ وَأَغْرَابٌ وَارِضٌ سَحِيْقَةٌ
وَحَصْنٌ وَدُورٌ دُونَهَا وَمِغَالِقُ
سَتَّسَعِدْنِي بِيضُ الصَّوَارِمِ وَالْقَنَا
وَتَحْمَلْنِي الْقُبُ الْعَتَاقُ السَّوَابِقُ
رَمَى اللَّهُ مَنْ يَرْمِي الْكَعَابَ بِرِيْبَةٍ
وَمَنْ هُوَ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمَكْرِ نَاطِقُ

من تنهال عليه مثل هذه المصيبة لا يستطيع ان يخرج منها الى التفكير بغيرها وقد ملكت عليه حواسه ومن لاحقته الحروب لا يسعى الى غير الخلاص منها فاذا خلص وخلصت له الحياة، التفت الى التعبير عما يجول في خاطره ويعتمل في نفسه من افكار وآراء ومعتقدات.

لما سمع البراق قولها وصرختها تحركت في قلبه الحمية الجاهلية فعقد العزم على تحريرها من الاسر سواء بالحرب او بالحيلة، لانها كانت بعيدة لدى قوم غريباء لا يصلح معهم اسلوب غير اسلوبهم هم.

اما كليب، وائل بن ربيعة المتوفى سنة (٤٩٤ م) فهو اخو المهلهل عدي، وكانا نصرانيين، وإن لم يصرّحا بذلك، فلأن الثارات حولتهما عن الافصاح، فأخذا يتغنيان على اسلوب الجاهليين، بالغزو والنصر. ويقول الاب لويس شيخو في شعراء النصرانية الجزء الأول: كان المهلهل يدين بالنصرانية، "فان قبيلته كانت قد تنصّرت منذ اوائل القرن الرابع" ويقول: "في شعره ما يدل على ايمانه باله واحد وبالبعث والنشور واسمه عدي وهو اسم احد تلامذة الرب الاثنيين والسبعين الذي ارسلهم للتبشير" ولكنه لم يأت بشاهد من شعر المهلهل يؤكد ذلك، وقد أيد المحققون قوله بان قبيلته كانت نصرانية كما كان هو واخوه كليب.

جابر التغلبي

هو جابر بن حنّٰى بن حارثة التغلبي، توفي سنة ٥٦٤ م. كان نصرانيا وكان شاعراً رافق امراً القيس لما خرج الى الروم مستنجداً.

في قصيدته التي قالها في قتل شرحبيل بن عمرو الكندي عم امرىء القيس، يظهر أنه كان يتألم عندما يستفحل الشر بين قومه، وبين قومه وغيرهم فيبكي لان رماح قبيلتهم اثارت الشر.

لتغلب أبكي اذ أثارت رماحها
غوائل شرّ بينهما متثألم

غير انه وان كان نصرانيا فانه لم يستطع ان يخلص من بيئته التي أعزت الشجاع المقدام وصاحب السيف، فلماً زعمت بهراء أن النصراني لا يحسنون القتال واهراق الدماء، انزعج وقال:

وقد زعمت بهراء أن رماحنا
رماح نصارى لا تخوض الى الدم

لهذا البيت اكثر من دلالة، فظاهره ذم وباطنه مدح، فهي تشير الى ان النصراني يكره القتل واراقة الدماء لانه أنشيء على التسامح والمحبة والعفو عند المقدره والأخذ بتعاليم المسيح: احبوا

بعضكم بعضاً، فإن كان الذي يرغب فيه الانسان يناله بالتفاهم وبالتأخي فلماذا القتال إذن؟ والثانية جوابية برزت من جراء التحدي المبطن، يؤكد الشاعر على ان النصراني يعف عن القتل، ولكنه اذا فرض عليه القتال فإنه يقتل دفاعاً عن النفس والاهم أن الشاعر وبهراء يؤكد أن تغلب نصرانية، والشاعر يفخر بذلك وقد أورد قولها ليفند في ابيات لاحقة مقولة ان المسيحي رقيق او ضعيف يتقاعس عن القتال ويصر على ان المسيحي شهم ومقدام يرفض التحدي.

فيوم الكُلاب قد أزالتمَ رماحنا
 شرحبيل اذ آلى اليّة مُقسِم
 لينتزعنَ أرماحنا فأزاله
 ابوحنشٍ عن ظهرِ شقاءٍ صِلدم^(١)
 تناولوه بالرمح ثم اتّنى له
 فخرَ صريعا لليدين وللنم^(٢)

اي رماه بالرمح ثم اتّنى له فخرَ صريعا، وهذا دلالة على ان الجاهلي المسيحي كان مشدوداً الى عادة الجاهليين وتقاليدهم.

(١) الشقاء: الطويلة. الصلدم: الصلبة

(٢) اتّنى: اي انتنى

عمرو بن كلثوم التغلبي

هو أبو عبّاد عمرو بن كلثوم...التغليبي المتوفي سنة ٥٦٧ م، من شعراء الطبقة الاولى، امه ليلى اخت كليب والمهلهل. نشأ في الجزيرة الفُراتية معماً مخولاً وشبَّ على خلال العظماء عزيز النفس أبيّ الضيّم طلق اللسان.تولّى قيادة قومه ولم يتجاوز الخامسة عشرة من عمره، وكان فارساً شجاعاً، شهد حرب البسوس وابلى فيها بلاء حسنا حتى تصالح الحيّان، ولكن عقد الصلح انفرطت عراه، وتلاحى الطرفان بكر وتغلب واحتكما لدى عمرو بن هند، فالقى الحارث بن حلّزة معلقته، فمال الملك الى بكر فغضب عمرو بن كلثوم وانصرف.

وحدث بعد ذلك ان عمرو بن هند سأل بعض خاصته: أتعلمون احداً من العرب تأنف أمّه من خدمة امي؟ فقالوا عمرو بن كلثوم فوالدها مهلهل وعمها كليب وزوجها كلثوم فارس العرب وابنها عمرو سيّد قومه. فأرسل الملك الى عمرو بن كلثوم يستزيّره وتستزيّر أمّه أمّه. فأقبل عمرو في جماعة من تغلب وامر الملك برواق فضرب، وكان عمرو بن هند قد طلب من أمه ان تستخدم ليلى، فلما دخلت الرواق وجلست قالت: ناولينى يا ليلى هذا الطبق، فقالت ليلى: لتقم صاحبة الحاجة الى حاجاتها، ولما ألحّت في الطلب صاحت ليلى: واذاً، يا لتغلب فسمعها ابنها فتميّز غيظاً، وقيل كان سيف معلق فقفز واستله وضرب به عمرو

بن هند فاردا، وانشد قصيدته المعلقة:

الاهبي بصحنك واصبحينا
ولا تبقى خموراً الاندرينا

شعر بن كلثوم جزل متين، لم يتحدث فيه بلسان المفرد على
عادة الجاهليين بل بلسان الجماعة:

أباهند فلا تعجل علينا
وانظرنا نخبرك اليقيننا
ورثنا المجد قد علمت معد
نطاعن دونه حتى يبيننا
تهددنا وتوعدنا رويداً
متى كنّا لأمك مقتويناً^(١)

كان عمرو أنوفاً كريم المَحْتَدُ أبى أن يتقبَّلَ الاهانة والذلَّ فلم
يكن هو وجماعته خدماً لهند ام الملك. ولكن الى هذه الخصال
فان عمراً كان حكيماً حليماً رزيناً، فلما حضرته الوفاة جميع
بنيه وقال: يا بني...إني والله ما عيرتُ احداً بشيء إلا عيرتُ
بمثله...ومن سبَّ سبَّ فكفوا عن الشتم فإنه أسلمُ لكم، واحسنوا
جواركم يحسن ثنائكم وامنعوا من ضيم الغريب ..ولا خير فيمن
لا رؤية له عند الغضب ومن اذا عوتب لم يعتب.

(١) أي خدَم

شعر عمرو بن كلثوم قليل، إذ شغلته عنه قيادة القبيلة وسياستها وعنفوان الزعامة وإباء الضييم وعادات الجاهلية، ولكنه مع ذلك نجد له خلجات تدلّ على اعتقاده بالله وينعمه واعترافه بأنّه إذا كانت يده بيضاء على الناس فذلك بفضل الله عليه وإن كل ما يمنحه للناس فمن نعم الله التي اسبغها عليه:

إِنَّ لَّهِ عَلَيْنَا نِعْمًا
وَلَا يُدِينُنَا عَلَى النَّاسِ نِعْمٌ

هذا اعتراف انسان يدين بدين قوييم يحثه على الشكر على نعم الله كلّها، لقد كان ابن كلثوم نصرانيا وتغلب كانت نصرانية ايضا.

عبيد بن الأبرص

هو عبيد بن الأبرص بن حاتم بن عامر السعدي الأسدي من أسد، توفي سنة (٥٥٥م) شاعر من الطبقة الأولى وهو قديم الذكر جيد الشهرة. لم يبق من شعره إلا القليل. لم يكن ثرياً، قال الشعر فجأة وكان شاعر بني أسد. له أبيات تدل على ورعه وتقواه، وقدرته على التمييز بين الأشياء والمتضادات.

الخير يبقَى وإن طال الزمان به
والشر أخبث ما أوعيت من زادٍ

يَصَوِّرُ الشاعر متضادين الخير الذي يحث عليه ويؤكد بقاءه ويبين انه زادٌ في الحياة الدنيا، وفي الآخرة، والشر زاد الخبث والجرم واللوم من يفعل الخير يترك في الدنيا صيتاً طيباً ويلق في الآخرة ثواباً ومن يفعل الشر يلقي في الدنيا بغضاً لأنه آذى غيره وفي الآخرة عقاباً.

ويشبهه بني أسد بحمامة برمت ببيضها فتركته، وهكذا بنو أسد أبوا أن يدفعوا الجباية لحجر فغضب عليهم، وحمل عليهم فصيرهم إلى تهامة، وحبس منهم عمرو بن مسعود بن كلدة الأسدي فسارت بنو أسد إليه فوقف عبيد يخاطب الملك، قال:

بَرِمْتُ بَنُو أَسَدٍ كَمَا
بَرِمْتُ بَبِيضَتِهَا حَمَامَةٌ

مثل يضرب لان الحمامة خرقاء لا تحكم عشها، وتبنيه على
 غصن يهزه الريح ولا يقاوم فيسقط البيض، وينواسد مثلها برموا
 وكان برمهم خرقا فضيعوا الود بالعصيان كما ضيعت الحمامة
 بيضها

مهـما تركتَ تركتَ عـفـوا
 اوقـتـلتَ فـلا مـلامـة
 انت المـليـك عـالـيـهـم
 وهـمُ العـبـيد الى القـيـامـة

بيت القصيد من هذه الحكاية كلمة القيامة التي كانت شائعة
 بين السريان ولفظها "قِيمَثًا" وقد عريبها الجاهليون فلفظوها بما
 يتناسب مع حروفهم ومخارجها، وان البيت يدل على ان عبید ابن
 الابرص كان يعرف الموت والحياة بعد الموت ويوم الحساب ويوم
 القيامة مما يدل على انه يعرف اسرار الدين المسيحي ولا يعرف
 الانسان ذلك ويتبناه إلا اذا كان يدين به.

وسار الشاعر الى المنذر فصادف ذلك يوم نحسه فبشّر الشاعر
 بالقتل فقال يرثي نفسه:

يا حارِ ما راحَ من قوم ولا ابتكروا
 إلا والموت في آثارهم حارِ
 يا حارِ ما طلعت شمس ولا غربت
 إلا تقربُ آجالُ لميعاد

هل نحن الأكارواح يُمرُّ بها
تحت التراب واجساد كاجساد

يسلم الشاعر، في ساعة غضب المنذر عليه وتصميمه على
قتله، بان كل حي يلاحقه الموت سواء في المساء او في الصباح،
في الإياب أو الذهاب لان أجل الانسان ليس بيده، فالذين يموتون
تعود اجسادهم الى التراب وكل الاجساد تتساوى بعد الموت وهذه
الفكرة وردت لدى اكثر من شاعر فطرفة يقول:

ارى قبر نحام بخيل بماله
كقبر غوي في البطالة مُفسد

في التراب يتساوى الغني والفقير العظيم والحقير الملك والعبد
القوي والضعيف والسخي والبخيل. ولكن كيف يمرُّ بالارواح التي
لا ترى؟ لا احد يقدر ان يتحكم بالارواح، ربما اعتقد أنه ازهقها
ودفنها في التراب ولكن لا برهان، فالانسان يستطيع أن يتحكم
بالاجساد فيسويها بالثرى اما الارواح فالله وحده القادر على
التحكم بها.

اذا سأل الانسان غير الله يخيب و"السؤال مذلة ولو كان أين
الطريق" والله لا يخيب سائلاً اما البشر فيحرمون السائل كل شيء
ولو توفر لديهم.

من يسأل الناس يحرموه
وسائلُ الله لا يخيب
والله ليس له شريك
علامُ ما اخفت القلوب

الا ترى معي بعد هذا كله ان عبيدًا كان نصرانيا؟

عنتر بن شداد

هو عنتر بن شداد بن عمرو المخزومي العبسي، المتوفي سنة (٦١٥م). ولد عنتر من أم حبشية فجاء مسود اللون، ولم يعترف به أبوه لأنه ابن أمة سوداء، وكان ذلك من عادة العرب ولكن عنتر رفض التفرقة والعبودية، وروّض نفسه على الطراد والفروسية، واتفق أن بعض احياء العرب اغاروا على عبس فاستاقوا ابلهم فتبعهم العبسيون وعنتر فيهم، فقال له أبوه كَرَّ يا عنتر فقال: العبد لا يحسن الكرائم إنما يحسن الحلاب والصرّ، فقال أبوه، كَرَّ وأنت حرّ، فكَرَّ وهزم المغيرين واسترجع الإبل فاستلحقه أبوه بنسبه. أحبَّ عنتر عبلة ابنة عمه حباً شديداً، ولكنَّ عمه لم يرض به.

أخبار عنتر تختلف بين الواقع والاسطورة، فقد اعجب الناس به وشغلوا بشجاعته وقوته وانتصاراته وحاكوا حوله حكايات هي بالاسطورة اشبه، فقالوا تزوج عبلة وثلاث عشرة امرأة غيرها وإذا زعق مات خصمه، بينما الواقع انه لم يتزوج عبلة ولا غيرها، ولكن هذا ليس في صلب بحثنا لان بيت القصيد البحث عن الابيات التي تدل على اعتقاد عنتر بالنصرانية.

كان عنتر شديداً في القتال عنيفا، ولكنه كان في الشعر رقيقاً في غزله وفي الحياة خلوقاً في تصرفاته، شهما في علاقاته،

صَادِقًا فِي شَعُورِهِ وَعَوَاطِفِهِ أَبِيًّا عَزِيزَ النَّفْسِ مُسْتَقِيمًا يَزُورُ فِتَاةَ
الْحَيِّ وَزَوْجَهَا مَعَهَا فَإِذَا غَابَ امْتَنَعَ عَنِ الزِّيَارَةِ:

أَغْشَى فِتَاةَ الْحَيِّ عِنْدَ حَلِيلِهَا
وَإِذَا غَزَا بِالْجَيْشِ لَا أَغْشَاهَا

أَمَّا جَارَتُهُ فَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهَا وَلَا يَلَاحِقُهَا بِنَظَرَاتِهِ

وَإِذَا غَضَّ طَرَفِي أَنْ بَدَتْ لِي جَارَتِي
حَتَّى يُوَارِي جَارَتِي مَأْوَاهَا

عَنْقَرَةُ يَعَاقِرُ الْخَمْرَ وَلَكِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ الْبَطَالَةِ الَّذِينَ لَا عَمَلَ
لَهُمْ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ بِالْعِشِيِّ وَيَقْتَسِمُونَهَا بَيْنَ قَسٍّ وَشَمَاسٍ، هُمْ
يَنْشَغُلُونَ بِذَلِكَ أَمَّا هُوَ فَيَجْعَلُ مَنَامَهُ تَحْتَ غُبَارِ الْحَرْبِ وَكَأْسَهُ
تَحْتَ جَمْعَةِ الرَّأْسِ.

إِذَا اشْتَغَلْتَ أَهْلَ الْبَطَالَةِ فِي الْكَاسِ
أَوْ اغْتَبَقُوهَا^(١) بَيْنَ قَسٍّ وَشَمَاسٍ
جَعَلْتُ مَنَامِي تَحْتَ ظِلِّ عِجَاجَةٍ
وَكَأْسَ مُدَامِي تَحْتَ جَمْعَةِ الرَّأْسِ

لَكِنَّهُ يَشْرِبُهَا صَبَاحًا وَالنَّوَاقِيسُ تَقْرَعُ

(١) اغتبق: شرب بالعشي

وكأس كعين الديك باكرتُ حدَهَا
بفتيان صدق والنواقيسُ تضرب

ويشبه مشي النعام البطيء بمشي النصارى حول الهيكل

تمشي النعام به خلاء حوله
مشي النصارى حول بيت الهيكل

ذكر الشعراءُ، النصارى وصلواتهم وعاداتهم وطقوسهم، وهذا
جدير بالنظر، فهل ذكروا ذلك لانه كان موجودا ام لانهم ارادوا ان
يتصوروه؟ ان ذلك يدل على انتشار النصرانية في الجاهلية.

اما ايمان عنتره بالله وقدرته فواضحة، قدرته لا يدركها
العقل وقضاؤه لا يقاوم

اذا كان امرُ الله أمرا يُقدرُ
فكيف يفرُّ المرءُ منه ويحذر

اما ما جاء في الانجيل من احياء الموتى فواضح في قوله
يرثي الملك زهير بن جذيمة:

قَسَمًا بِالَّذِي امَاتَ وَأَحْيَا
وَتَوَلَّى الْأَرْوَاحَ وَالْأَجْسَامَ

من الذي أحيا الموتى؟ أليس المسيح؟ فكيف يقول عنتر ذلك اذا
كان غير مقتنع بما يقول؟

وخلاصة القول لا ان نثبت أن الشاعر كان نصرانيا بل ان
النصرانية كانت منتشرة بين عرب الجاهلية.

زيد بن عمرو بن نفيل (١)

هو زيد بن عمرو بن نفيل من كنانة توفي سنة ٦٠٦ م، أمه جیداء بنت خالد بن جابر، وكانت عند نفيل بن عبد العزى، فلما مات تزوجها عمرو، فولدت له زيدا، وكان زيد احد من اعتزل عبادة الأوثان، وامتنع عن أكل الذبائح ونهى عن قتل الموءود، وكان يقول: يا معشر قريش، أيرسلُ الله قطر السماء، وينبت بقل الارض ويخلق السائمة فترعى وتذبحونها لغير الله؟ وكان يقول: ما حجرٌ تطيفون به لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع. يا قوم التمسوا لانفسكم ديناً،... فتفرقوا في البلدان يلتمسون الحنيفية.^(٢) أما قومه فقد ادعوا انه صبا فقتلوه، وهذا يذكرنا بحكاية سقراط الذي اتهمه السفسطائيون بأنه يفسد الشباب - مع انهم كانوا يفسدون - وحاكموه وحكموا عليه بالموت فشرب السم ومات.

ترك زيد عبادة الأوثان ايمانا منه ان عبادتها لا تفيد لأنها حجارة صماء:

فلا العزى أدين ولا ابنتيها
ولا صنمي بني طسم أدير
ولا هبلاً أدين وكان ربا
لنا في الدهر إذ حلمي صغير

(١) راجع: شعراء النصرانية ج١ ص ٦١٩ وموسوعة الشعر العربي: ل صفدي وحايي
(٢) الحنيفية: المسيحية. راجع موسوعة الحضارة العربية ج١ ص ٢٦ بطرس البستاني

يقول انه لما كان صغيرا ضعيف العقل عبد هبل كما كان غيره
يفعل فلما كبر ونضج أدرك أن الاوثان خرساء بكماء عمياء لا
حياة فيها، فكيف تؤثر في الحياة وتتحكم بالبشر.

أَلَمْ تَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ أَفْنَى
رَجَالًا كَانَ شَأْنُهُمُ الْفَجُورُ
وَلَكِنْ أَعْبَدَ الرَّحْمَنَ رَبِّي
لِيَغْفِرَ ذَنْبِيَ الرَّبُّ الْغَفُورُ

وزيد يُسلم امره لله الذي بيده مقادير الكون. الخالق الغفور. ألا
يعيش هو على هذه الارض التي أسلمت أمرها لله:

أَسْلَمْتُ وَجْهِي لِمَنْ أَسْلَمْتُ
لَهُ الْأَرْضُ تَحْمِلُ صَخْرًا ثَقِيلًا
دَحَاهَا فَلَمَّا رَأَاهَا اسْتَوَتْ
عَلَى الْمَاءِ أَرْسَى عَلَيْهَا الْجِبَالَا

من اين جاءت زيدا هذه الصورة؟ كيف استطاع خياله ان يرى
الارض راسية على المياه؟ أليس لان العرب عرفوا العهد القديم
واحداث العهد الجديد، وما جاء فيهما من حكايات منذ خلق آدم؟

كيف لا يطيع الله القادر أن يخضع عناصر الطبيعة كما يشاء
وهي أقوى من الانسان:

وَأَسْلَمْتُ وَجْهِي لِمَنْ أَسْلَمْتُ
لَهُ الْمِزْنَ تَحْمِلُ عَذْبًا زُلَالًا
وَأَنْ هِيَ سَيَقْتُ إِلَى بِلَادِهِ
أَطَاعَتْ فَصَبَّتْ عَلَيْهَا سَجَالًا

ألا يصور زيد في أبياته هذه عظمة الخالق وقدرته وإرادته؟
ومن كان ينشر آراء المسيحية أو الحنيفية- كما كان يسميها
العرب- غير المسيحيين العرب؟

جساس بن مرة المتوفي (٥٣٤ م)

هو جساس بن مرة بن ذهل بن شيبان، أخو جلييلة زوجة كليب، وكان لمرّة عشرة بنين أصغرهم جساس، وكان لجساس خالة اسمها البسوس بنت منقذ وهي التي يقال فيها: "أشأم من البسوس، نزلت على ابن اختها جساس، ونزلت ناقتها سراب مع الابل، فانكرها كليب، فقال له جساس: هذه ناقة جارنا الجرمي، فقال لا تعد هذه الناقة الى المرعى، فقال جساس لا ترعى ابلي إلا وهذه معها. فقال كليب: لئن عادت لأضعنّ سهمي في ضرعها، قال جساس لئن فعلت لأضعنّ سنان رمحي في صلبك. وحدث ان عادت سراب وعاثت وداست بيض القبرة فاتلفتة فأمر كليب غلامه ان يضرب ضرعها ففعل.

وتربص جساس بكليب حتى رآه خارجا بلا سلاح، فقتبعه، لأنه لم يكن يجروا ان يقاتله وسلاحه معه، فجاءه من وراء، وقال: يا كليب، الرمح وراءك، فقال له: ان كنت صادقاً فأقبل اليّ من الامام، فلم يفعل وضربه بالرمح من الخلف فقتله. ولذلك قامت حرب البسوس بين بكر وتغلب.

ولمّا علم مرّه بالامر أنكر على جساس فعلته فقال جساس: أجدرك بك بدل ان تلومني ان تتأهب للحرب.

تأهب مثل أهبة ذي كفاح
فان الأمر جلّ عن التّلاحي

كان جساس على حماسه واندفاعه واعتداده بنفسه يؤمن
بقدره الله على إحياء الموتى وهذه العجائب عرفها الجاهلي عن
طريق النصرانية وهي من معجزات المسيح.

إني ورب الشاعـر الفـرور
وباعث الموتى من القـبور
وعالم المكـنـون في الضـمير
ان رمت منها معقر الجـزور
لأثـبـنْ وثـبـة المغير
الذيب أودي اللـبـدة الهـصور
بصارم بصارم ذي فنن مشهور

اقسم جساس بربه المحيي الموتى، فما المستنتج من هذا؟
اليس معرفته بالانجيل وايمانه به. أغار وقتل كليبا وتباهى بذلك
ولكنه كان يدرك ان لا مفر من الموت:

ونحن مع المنايا كل يوم
ولا ينجى من الموت الفرار

الحارث بن عباد البكري المتوفي سنة (٥٥٠م)

هو الحارث بن عباد بن قيس بن ثعلبة البكري من اهل العراق، من سادات العرب وحكائها. رفض ان يشارك في حرب البسوس ضد تغلب قائلا لبني شيبان: ظلمتم قومكم وقتلتم سيدكم وهدمتم عزكم ونزعتم ملككم فوالله لا نساعدكم، غير انه أعلن الحرب على المهلهل وتغلب بعدما قتل المهلهل ولده قائلا بُوَ بِشْشَع نعل كليب.

ولماذا لا يدخل الحرب ظللما أنه سيزول كما زال غيره، اذ لا احد يقدر ان يتهرب من الموت. ان افتعل الحرب أو فرضت عليه.

كل شيء مصيره للزوال
غير ربي وصالح الاعمال
وترى الناس ينظرون جميعا
ليس فيهم لذاك بعض احتيال
قل لام الأغرت بكى بجيرا
حيل بين الرجال والاموال
لم أكن من جناتها علم الله
واني لحرها اليوم صالي
قتلوه بِشْشَع نعل كليب

ان قتل الكريم بالشمع غال

يعترف الحارث ان كل شيء يزول الا الله، فلا يزول ولا يتغير، يبقى لانه كائن موجود من الازل الى الابد، خالق الموجودات جميعا، أما الانسان فيزول ولا يبقى بعده الا الذكر الحسن واعماله الصالحة. ثم يقول أبلغ أم بجير ان بجيرا مات والناس لا يستطيعون لرد الموت شيئا وليس لهم من حيلة، والحرب كلها ويلات والله يعلم أني لم اشعلها ولم أجن على احد ومع ذلك فانني اليوم تحرقني نارها، لم أضرمها ابتعدت عنها، رفضت المشاركة فيها حتى قتل المهلهل ولدي فاضطرنى الى خوضها.

يتبين ان الحارث كان يؤمن بالله ويعزته وقدرته وديمومته وعجز الانسان عن مواجهة المشئنة الربانية فمضى وترك هذه الصفات الخيرة، ووضح أن الشاعر عاش في زمن انتشار المسيحية التي كانت تبشر بهذه المزايا.

المرقش الاكبر

توفي سنة (٥٥٢ م)

هو عوف بن سعد، وقيل بل عمرو بن سعد بن مالك بن ضبيعة ابن قيس بن بكر. كان اديبا شاعرا، ارسله ابوه الى نصراني من اهل الحيرة ليتعلم الخط، فتعلم وتأدب متأثرا باستاذة، ولما بلغ، طلب اسماء ابنة عمه عوف، وكان أحبها وهو غلام، فقال عمه: لا ازوجك حتى تتصف بالبأس، وحدث ان اتصل المرقش بأحد الملوك، فأقام عنده زمانا، واثناء ذلك ساءت أحوال عمه فجاءه رجل من مراد يطلب ابنته، ورغبة في المال، زوجه اسماء. ورجع المرقش، فادعى اخوته ان اسماء ماتت، وأرؤهُ قبرا كانوا دفنوا فيه عظام كبش، فأخذ المرقش يضطجع قربه، وذات يوم اختلف ابنا أخ له على كعب^(١) كانا يلعبان به، فقال احدهما: هذا كعبي أعطانيه أبي من الكبش الذي دفنوه وقالوا اذا جاء مرقش قولوا له إنه قبر اسماء، فعلم مرقش بالقصة وان اسماء لم تمت، وانما زوجوها من المرادي. واحتال عن طريق راعٍ كان ينقل اللبن الى اسماء ان ينقل معه خاتمه، فقال كيف؟ قال الق الخاتم في اللبن ثم خذ اللبن اليها، ففعل فلما رأت اسماء الخاتم عرفته، فذهبت اليه فمات في وجودها.

(١) كعب: قطعة عظم يلعب بها الاولاد

”ومن اقواله الحسنة الداله على تدينه بالنصرانية قوله“

”فاذا الاشائم كالايمان والايمان كالاشائم
وكذاك لا خير ولا شر على أحد بدائم
قد خط ذلك في الزبور الأوليات القدائم“^(١)

هذه الابيات فيها نفحة ايمانية تدل على ان الشاعر آمن بما
جاء في الكتب المقدسة. وفي معرض قصيدته الى أسماء يقول:

أمن آل اسماء الطلول الدوارس
تخطط فيها الطير قفر بسابس
وتسمع تزقاء من البوم حولنا
كما ضربت بعد الهدوء النواقس

يبين الشاعر وقت ضرب النواقيس اذ كانت تقرر في سكون
الليل فتونس اما البوم فتوحش، وكل امرئ يلاقي ما كتب له.

(١) شعراء النصرانية ج١ ص ٢٨٦

طرفة بن العبد المتوفي سنة (٥٦٤ م)

هو عمرو بن العبد بن سفيان البكري، ولد في البحرين، ونشأ في بيت اكتنفه الادب والشعر من طرفيه، فابوه وعماه المرقشان الاكبر والاصغر شاعران وخاله جرير بن عبد المسيح المعروف بالمتلمس شاعر، فقال الشعر يافعاً ونبغ فيه شاباً.

توفي ابوه وهو طفل، فتعهده اعمامه الا انهم ظلموه وهضموا حقوق امه، الامر الذي أحدث في نفسه جرحاً لا يندمل. ترك طرفة اعمامه وعاش عيشة لهي، مبدداً ثروته في اللهو والمجون والسكر حتى تحامته العشيرة وأفرد افراد البعير المعبد المطلي بالقطران لاصابته بالجرب. فهام على وجهه زمنا ثم عاد الى القبيلة ليرعى الابل لأخيه معبد، فاحسّ بالهوان، وأثر حياة التشرد على النذل في كنف الاهل وذوي القربى:

وظلم ذوي القربى أشدّ مضاضة
على النفس من وقع الحسام المهند

فسار يضرب في الآفاق الى ان اتصل بعمرو بن هند ملك الحيرة فأقام يمدحه هو وخاله المتلمس، ثم هجواه وسارا فحقد عليهما ذلك، ثم عادا وامتدحاه، فتظاهرا بالانشراح وسيرهما الى

البحرين وزودهما بكتابين الى عامله هناك زاعما انهما سينالان العطاء، وكانا يجهلان القراءة فمضيا، الا ان المتلمس ارتاب بالامر فأقرأ كتابه ولدًا في الطريق، وادرك الخدعة فالقى صحيفته في الماء وفرّ الى الشام، اما طرفة فأبى معتمدًا على ان ابن هند لا يجروا ان يأمر بقتله فسار الى البحرين وهي آنئذ ولاية من ولايات الحيرة، ذلك ان الفرس استعانوا بعرب الحيرة لصد غزوات الروم، كما استعان الروم بالغساسنة في الشام لصد غزوات الفرس، واتخذت الدولتان الكبيرتان من العرب دروعًا في صدامهما ولذلك فرّ المتلمس الى الشام حتى لا ينال منه ابن هند.

قدم طرفة على عامل البحرين بهجر، وهو أبو كرب بن ربيعة ابن الحارث على الرواية المشهورة، وكان من اقرباء طرفة، فلما قرأ الكتاب رفض ان يقتل الشاعر وابلغ ابن هند بذلك، فعين ابن هند مكانه معضد بن عمرو على رواية ابن الكلبي، وأبا ريشة على رواية غيره. فقتل طرفه واختلفت الروايات في قتله، ف قيل شرب حتى ثمل وفُصد أكحلاه فنزف حتى مات. فاخذ معبد ديته من الكويشري. فلما بلغ خبره العشيرة رثته اخته الخرنق ذاكرة عمره.

عددنا له ستًا وعشرين حجة
 فلمّا توفّاها استوى سيدًا ضخمًا
 فُجِعْنَا به لما انتظرنا إِيّاهُ
 على غير حين لا وليدًا ولا قحما^(١)

(١) قحما: كبير السن

كان طرفة من اشراف قومه، وان نبذوه حيناً، فانه كان
يتصرف كأحد سراة القوم، ينفق على الملذات وقت الملذات
ويحضر مجالس الفكر والشورى ويبيدي رأيه:

فإن تبغني في حلقة القوم تلقني
وان تقتنصني في الحوانيت تصطري

جثمت على صدر الشاعر هموم مختلفة فقد ظلمه اعمامه
واهانه قابوس بن المنذر أخو عمرو بن هند، وتحامته العشيرة
وخانه اقرب الناس اليه فأحس بالوحدة وتأمل في الحياة واذا
الانسان صنفان: أثيم وبريء، والصدق من شيم البريء والكذب
من صفات اللثيم

والاثم داء ليس يُرجى بُرؤهُ
والبرُّ برٌّ ليس فيه معطبُ
والصدق يألّفه الكريم المرتجى
والكذب يألّفه الدنيء الأخيبُ

بيتان من قصيدة يبين فيها سيئات اعمامه الذين هضموا حق
أمه ويظهر في القصيدة كريم اخلاق الشاعر وترفعه عن الدنيا
ويقربه بالفكر من تعاليم المسيح الذي نهى عن الاثم حتى لو كان
بالنظر إذ خير لك ان تقتلع عينك من أن تخسر نفسك كلها.

كان القدماء جميعاً يبحثون عن الخالد، وحاولوا، حتى في العصر الحديث، ان يجدوا دواء يبعد الشيخوخة ويديم الشباب، فهل توصلوا الى ذلك؟ وهل يخلد الانسان؟ قد وجد في هذه الحياة فليواجه مصيره:

الا ايهاذا الزاجري أحضر الوغى
وأن أشهد اللذات، هل انت مخلصي؟
فان كنت لا تستطيع دفع مني
فدعني ابادرها بما ملكت يدي

ومن يقدر ان يرد عن نفسه الموت، او عن غيره، فليواجه الانسان قدره بشجاعة. كلنا من التراب والى التراب، الغني والفقير، الكريم والبخل، الرجل والمرأة، الناس جميعاً يتساوون في القبر.

ارى الموت يعتام الكرام ويصطفى
عقيله مال الفاحش المتشدد

كل من على الارض الى الموت، يطويه الرمس ويمتصه التراب، مهما كان عظيماً متجبراً، ولا مساواة او عدل إلا في الموت، والموت كالحبل ذي الطرفين، طرف يلتف على الانسان والآخر بيد رسول الموت ولهذا فلا مهرب:

لعمرك إن الموت ما اخطأ الفتى
لكالطول المرخى وثنياه في اليد

آمن طرفة بأنّ الانسان لا يقدر ان يغيّر شيئاً في حياته من مولده الى وفاته، فهو حسب مشيئة الله، لانّ شعرة من شعور رؤوسنا لا تسقط الا بمشيئة الله.

فلو شاء ربي كنت قيسَ بن خَالِدٍ
ولو شاء ربي كنت عمرو بن مرثد

كتب عمرو بن هند الى المكعب رسالة قال فيها: إذا أتاك كتابي هذا من المتلمس فاقطع يديه ورجليه وادفنه حيّاً، والرسالة تتكرر مع طرفة، فكيف جمع عمرو بين هذا الامر المليء بالعنف والحق، بين القتل الذي حرّمه الله واوصى بعدمه وقاومه المسيح وبين الايمان بالله المحيي الذي علمنا التسامح والغفران. قال بطرس: "الى كم مرة يذنب اخي واسامحه، السبع مرات، فقال المسيح بل اقول الى سبعين مرة سبع مرات." لهذا السبب قال طرفة يهجو بني المنذر بن عمرو:

وركوبٍ تعزف الجن بها
قبل هذا الجيل من عهد أبى
يزعمون الجهل في مجلسهم
وهم انصار ذي الحلم الصمد

والرب هو ذو الحلم الدائم، الواجب الوجود، يزعمون أنهم يتبعونه ويتمسكون بالجهل ويأخذون بالعواطف ويهملون

العقول.

يستخلص طرفة من صروف الدهر حكماً لأن كل انسان
يحاسب على اعماله وكل حي مهما علا، فلا بد ان يأفل نجمه
ويهوئ فاين عاد وثمرود ولقمان، ومهما حاول ان يخفي فالله
يعلم.

فكيف يُرجي المرء دهرًا مخذلاً
واعماله عمّا قليل تحاسبه
ألم تر لقمان بن عاد تتابعت
عليه النسور ثم غابت كواكبه
وللصعب أسباب تجلّ خطوبها
أقام زماناً ثم بانّت مطالبه
إذا الصعب ذو القرنين ارخى لواءه
الى مالك ساماه، قامت نوادبه
يسير بوجه الحنف والعيش جمعه
وتمضى على وجه البلاد كتائبه

فلا يحاولن احد ان يتعالى على احد، فكلنا في الخليقة
سواسية، يمضى الفرد وتبقى الجماعة، أمّا المنية فهي حكم الله
لأنه خلق الانسان لا ليخلد بل ليؤدي رسالته على الارض.

لَتَنقَبَنَّ عَنِّي الْمُنِيَّةُ إِنَّ
الله ليس لحكمه حكم

فان شاء أطال العمر وان شاء قصفه، فلتأتِ المنية فلا رادّ
لحكم الله.

الا ترى، مما تقدم، أثر النصرانية في شعر طرفة صديق خاله
جرير بن عبد المسيح ورفيقه، فكيف يكونان رفيقين اذا تضاربت
معتقداتهما.

المتلمس

المتوفي سنة (٥٨٠م)

هو جرير بن عبد المسيح الضبعي من اهل البحرين، عرف بالمتلمس من بيت شعر قاله:

وذاك أوان العِرض حيّ ذبابُه
زنا بيره والأزرق المتلمس^(١)

كان المتلمس يقيم في احواله من بني يشكر حتى كادوا يغلبون على نسبه، وعن طريقهم اتصل بعمر بن هند ملك الحيرة.

كان المتلمس حصيف الرأي يقظاً، خرج مع ابن اخته طرفة الى عمرو ابن هند، وكانا ينادمان "قابوس" اخا الملك. فكان يقودهما الى الصيد حتى يتعبا ثم يوقفهما على بابه، وطال الامر، فدفعت هذه الاساءة بالشاعرين الى هجائه وهجاء اخيه، فبلغ الملك ذلك، فارسلهما مع كتابين الى عامله على البحرين، لكن المتلمس ارتاب بالامر، فأقرأ كتابه أحدَ فتيان الحضرة، ولما عرف ما فيه القاه في الماء، ونصح طرفة ان يحدو حذوه، فقال له طرفة: عمرو لا يجروا على ذلك. ويقول المتلمس مصوراً ما حصل وكيف القى الصحيفة في اليم:

(١) العرض: وادي في اليمامة. الزنانير جميع زهور وهو ذباب اللسع. المتلمس: الطالب

قذفت بها في اليم من جنب كافِر^(١)
كذلك أَلْقِي كُلُّ رَأْيٍ مَضَلُّلٍ
رضيت بها لما رأيت مدادها
يجول بها التَّيَّار في كلِّ جدول

ومرّب الى الشام والتحق بملوك جفنه النصارى وقال:

أودى الذي عَلِقَ الصحيفة منهما
ونجا حذارَ حَيَاتِهِ المتلمسُ

وبلغَه انَّ عمرًا قال: "حرام عليه حَبَّ العراق" فقال يهجوهُ
ويحرض قومه آل بكر عليه:

أيا آلَ بَكْرٍ أَلَا لِلهِ امُّكُمْ
طال الثَّوَاءُ وثوبُ العِجْزِ ملبوسُ

وفي القصيدة يذكر النواقيس التي اشتاق اليها كما
اشتقت اليها ناقتة:

حنَّت قلوْصي بها والليل مطرَق
بعد الهدوء وشاقَّتْها النواقيسُ

هذا البيت يدل على شيوع النصرانية في العراق وانتشار دور
العبادة وسماع نقس النواقيس، وحتى ابن هند الذي أرسله الى

(١) كافر: اسم نهر الحيرة

الموت استهلّ كتابه: "باسمك اللهم"، وهذا الاستهلال كان شائعاً لدى النصارى منذ القدم.

كان جرير بن عبد المسيح، المتلمس، في حال دفاع عن النفس عندما هجا عمرًا وقد زاد في ألمه أنه عرف أن اهل زوجته اكرهوها على الزواج من غيره فحاول الوصول إليها، ولما اقترب سمعها تقول:

أيا ليت شعري والحوادث جمّة
بأيّ بلاٍ انت يا مُتلمس
فاجابها:

بأقرب دارٍ يا أميمة فاعلمي
وما زلتُ مشتاقاً اذا الركبُ عرّسوا^(١)

ألا يوحى هذان البيتان بالوفاء؟ لقد اكرهت أميمة على الزواج من غيره فبكت من القهر، واشتاق هو إليها فخاطر واراد الوصول اليها مع انه كان قادراً ان يتزوج غيرها بيد ان الاخلاص منعهما والتعاليم التي اعتمداها والصبر على المكاره شدت اواصرهما، ذلك ان جريراً كان نصرانياً وهو ابن عبد المسيح وزوجته مثله.

(١) عرّسوا: اي نزلوا للاستراحة ثم رحلوا.

للمتلمس أبيات جميلة تدل على العزة والاباء وعلو الهمة
كقوله:

وكنّا اذا الجبار صَعَرْخده
أَقْمَنّا له من مَيْلِه فتَقَوّما

فاخذ بشار المعنى والشرط الاول نصا وقال
وكنّا اذا الجبار صَعَرْخده
مشينا اليه بالسيوف نعاتبُه

تفرّق أهل المتلمس، فلم يدر بأيّ فريق يلتحق:

تفرّق اهلي من مقيم وظاعن
فَلِلهِ دَرِّي أَيَّ أهلي أَتبعُ

على الرغم من كل ما قيل في المتلمس وكل ما نقل عنه
من شعر فقد كان نصرانيا مؤمنا بالله ويشارته، فالانسان غير
قادر على التحكم بمولده وموته:

أَعَاذِلَ إِنّ الموتَ رهْنُ مَنِيّةٍ
صريعٌ لعافي الطير أو سوف يرمسُ

اذا مات المرء في الحروب وليس من يواريه التراب تنوشه
الجوارح واذا مات ميتة طبيعية واره اهله التراب لكن الموت
واحد.

كان جرير بن عبد المسيح مسيحيا فابوه مسيحي وجده
أيضا والّا فكيف سمّى ابنه عبد المسيح، وفي شعره ما يدلّ على
ذلك فاسمعه يقول وهو يبوح بحنينه الى زوجته التي أحبّها
وخاطر بحياته ليعود اليها:

صبا من بعد سلوته فوادي
وسمّح القرينة بانقياد

واستمر في أبياته حتى وصل الى بيان أنّ خير سلاح
للمرء هو تقوى الله:

واعلم علم حق غير ظن
وتقوى الله من خير العتاد
لحفظ المال خير من بُغاه
وسير في البلاد بغير زاد

لم يقسم المتلمس بالله على عادة شعراء عصره، وكأنه
أخذ بقول المسيح فليكن كلامكم نعم نعم أولا، لا، وما زاد على
ذلك فهو من الشيطان.

وفي قصيدة يهجو بها عمرا، يؤنّبه، لأن المرء مهما ملك فان مال
الدنيا يبقى فيها فلماذا يبغي ويتجبر ويخاف من ان يفقد شيئا
صغيرا كالدوامة^(١) مثلا:

(١) الدوامة: لعبة كان صغار العرب يلعبون بها. وهي تشبه "البليبل" في أيامنا.

أَلَكَ الْـدِيـرُ وَيـَارُقْ
 وَمـَرَابِضُ وَلَكِ الْخُورَنـُوقُ
 وَالْقَصْرُ ذُو الشَّرَفَاتِ مِنْ
 سِنْدَادٍ وَالنَّخْلُ الْمَبْسُوقُ^(١)
 وَتَظَلَّ فِي دَوَامَةِ الْمَوْلُودِ يُظْلَمُهَا، تَحْرَقُ!!

ألك هذا كله وإذا فقد ابنك لعبته تتميز غيظًا لجريير بن عبد
 المسيح نظرة الى الحياة فقد كان يرى ان الانسان كلما زاد ماله
 بخل، وكلما انبسط سلطانه تجبر، اما تقوى الله فلا يعرفها الا اذا
 ألمت به مصيبة، ولكن المتلمس بن عبد المسيح رأى ان خير زاد
 للانسان وخير مال هو تقوى الله ولا نزيد شيئاً فاقواله واسمه
 يدلان عليه.

(١) المَبْسُوقُ: المرفوع

الأعشى الأكبر توفي سنة (٦٢٩م)

هو ميمون بن قيس بن جندل... بن ضبيعة بن قيس بن وائل بن ربيعة، ولُقّب بالأعشى لضعف بصره. وعرف بأعشى قيس، وأعشى بكر، وأعشى ربيعة، وغلب عليه لقب الأعشى الأكبر تمييزاً له عن سائر العُشُو، ولقب ايضاً بصناجة العرب، لفخامة شعره وجزالته وسرعة شيوخه وجلبته.

كان كثير الاسفار، كثير التنقل بين المجتمعات يمدح ويهجو، فتواجهه العقبات اذا هجا، والحفاوة اذا مدح، وافاد من اختباراتهِ "حتى ظهر ذلك في شعره، فأكسبه عمق ثقافة ورهافة شعور وسعة أفق ومتانة سبل وسهولة اداء وموسيقى في الوقع... وهذه... جعلت عبد الملك بن مروان يقول لمؤدب ولده: أدبهم برواية شعر الاعشى، فانه -قاتله الله- ما كان اعذب بحره واصلب صخره(١).

قال ابن سلام: سألت يوسف النحوي من اشعر الناس، قال لا أوميء الى رجل بعينه، ولكني اقول: امروء القيس اذا غضب والنابعة اذا رهب وزهير اذا رغب والاعشى إذا طرب.

روي أن أبا الاعشى قيساً دخل غاراً يسطلّ به فوقعت صخرة فسدت فوهة الغار، فمات فيه جوعاً وسمي قتييل الجوع، أما خاله

(١) المجاني الحديثة جـ ١ ص ٢٢٥ ل فؤاد افرام البستاني.

فلم يكن عبداً من خُماعَة كما جاء في هجاء احد الشعراء له، بل
كان المسيّب بن علس احد شعراء ضبيعة.

نشأ الاعشى في منفوحة في اليمامة حيث كان كثيرون من
سكان اليمامة آنذاك من نصارى بني حنيفة، وكانت النصرانية
منتشرة بينهم، وقد اتصل الاعشى باميرهم هوزة بن علي
النصراني ومدحه:

أهـوْذَ وَاَنْتَ اَمـرُؤٌ مـا جـدُّ
ويـحرُكُ في النـاسِ يعلـو البـحـورا
مَنَنْتَ عَلَيَّ العـطـاءَ الجـزـيلَ
وقـد قـصّرَ الظنُّ مـنـي كـثـيرا

لا نعرف كثيراً عن حياة الاعشى الخاصة، سوى أنه سبّب
بكثيرات من هريرة ولبلى الى قتلة وغيرهن. وليس من ذكر
لزواجه إلا ما ورد في شعره عن امرأة من عنيزة من ربيعة بن نزار
التي هدده اهلها بالضرب إن لم يطلقها، فطلقها وقال:

فـبـيـنـي فـإنَّ البـينَ خـيرٌ مـن العـصا
وَأَلّا تـريّ لـي فـوقَ رَأْسـكَ بـارِقـةً
وَيَا جـارتـا بـيـنـي فـإنَّكَ طـالِقـةٌ
كـذاك اـمـورُ النـاسِ غـارٍ و طـارِقـةٌ

لم يذكر الأعشى أنه تزوج بعدها، ولم يذكر عن عائلته أكثر من أنه كان له ولدٌ يمسك بخطام الجمل.

كان الاعشى شاعرا متكسبًا، يجوب الآفاق منتجعا، وزعموا انه تنقلَ في الجزيرة العربية، فزار عدن ونجران مادحا آل عبد المدان وغيرهم، ثم زار حضرموت والحجاز وسوق عكاظ والعراق مختلطاً بالعباد النصارى، وعمان وحمص واورشليم القدس:

وطوّفت لـلـمـال آفاقه
عمانَ وحمص واورشليم
أتيت النجاشي في داره
وأرض النبيط وأرض العجم

وتغنّى بأثافت، قرية في اليمن قيل فيها معصره:

أحبُّ أثافت وقت القِطافِ وقت عصارة أعنابها

كان الاعشى يتنقلُ في البلاد ويغشى سوق عكاظ، وكان المحلق الكلّابي قد افتقر، وله ثلاث بنات عزياوات، فقالت له امرأته: يا أبا كلاب، ما يمنعك من التعرض لهذا الشاعر، فما رأيت أحداً اقتطعه الى نفسه الا وأكسبه خيرا. قال ويحك ما عندي الا ناقتي وعليها الحمل. قالت: الله يخلفها عليك. قال: فهل له بدٌّ من الشراب والمسوح؟ قالت: ان عندي ذخيرة لي ولعلّي أن أجمعها.

فلحق المعلق بالاعشى واخذ الخطام. فقال الاعشى: من غلبنا على خطامنا: قال:المعلق. قال شريف كريم ثم سلمه اليه فأناخه، ونحر له ناقته وكشط له عن سنامها وكبدها ثم سقاها، واحاطت بناته يغمزنه ويمسحنه. فقال ما هذه الجواري؟ قال: بنات اخيك. وخرج الاعشى حتى وافى سوق عكاظ، فاجتمع الناس فانشد:

لعمري قد لاحت عيون كثيرة
الى ضوء نار باليفاع تحرقُ
تُشبّ لمقرورين يصطليانها
ويات على النار الندى والمعلق
رضيعي لبانٍ ثديٍّ أمّ تحالفا
باسمٍ داجٍ عوضُ لا نتفرّق

فسلمَ عليه المعلق فقال الاعشى : مرحباً بسيد قومه، ثم قال: يا معاشر العرب هل فيكم مذكّار يزوج ابنه الى بنت الشريف الكريم؟ قيل، فما قام من مجلسه وفيهن مخطوبة الا وزوجها.

أدرك الاعشى الاسلام ولكنه لم يسلم وزعم بعض الرواة أنه كان راغباً في الاسلام وكان قاصدا النبي، ولكن قريش ردّته واوردوا قصيدة يقول فيها:

لم تغتمض عيناك ليلة أرمدا
وعادك ما عاد السليم المسهدا

ويصف ناقته فيقول:

فآليت لا أرثي لها من كلاله
ولا من حفى حتى تزورَ محمدا
فاياك والميتات لا تقرّبَنها
ولا تأخذن سهما حديدا لتقصدا

قال ابن هشام: ان مشايخ بكر نطوه اياها، ويومها كان النبي في مكة قبل الهجرة اذ قصده الأعشى كما قالوا، فاعترضه بعض المشركين من قريش وارجعوه بحجة ان النبي يحرم الخمرة.

ولا يخفى ان النبي، من حيث التأثير المادي والسلطة المدنية، لم يكن في مكة قبل الهجرة، بالرجل الذي يستجلب شاعرا عظيما كالأعشى فيجوب البلاد ليمدحه، ثم ان الخمر لم تحرم الا في المدينة. هذا فضلا على ان في القصيدة من التحريمات والوصايا ما يتناقض وعقلية الاعشى.(١)

إن الدكتور طه حسين يؤيد هذا الرأي بقوله: "ولا أتردد في القطع بأن هذه الدالية التي تروى للأعشى في مدح النبي منحولة، نحلها قاص ضعيف الحظ من الشعر، رديء النظم قليل المهارة في النحل. ويكفي أن تقرأ هذه القصيدة لترى انها أسخف ما يضاف الى الأعشى.

(١) الروائع: راجع الأعشى والاسلام: فؤاد افرام البستاني.

الا أيهاذا السائلي اين يمتت فإن لها في آل يثرب موعداً^(١)

مات الاعشى ودفن في اليمامة، وقيل ظل قبره رطباً لان الشرب رفاقه كانوا يجعلونه كواحد منهم فاذا صار اليه القدح صبّوه عليه.

كان الاعشى كثير التنقل، يعبث عندما يتيسر له العبث واللهو، ويجد اذا دعا الامر الى الجد، وتارة يحفى وأخرى ينتعل، يقول حيناً بالتسيير وحيناً بالتخيير جاعلاً المرء حرّاً بأعماله مسؤولاً عنها.

وجاء في شعراء النصرانية "أن يحيى بن متى راوية الاعشى وكان نصرانياً عبادياً معمرًا قال: ان الاعشى كان قدريا مختاراً لأعماله واستشهد ببيت من الشعر مدح فيه سلامة ذا فائش

استأثر الله بالوفاء وبالعدل وولى الملامة الرجال

الشعر قلّدتَه سلامة ذا فائش والشيء حيث ما جُعِلَا^(٢)

فقال سلامة: صدقت

وسئل يحيى من اين اخذ الاعشى مذهبه، قال من العباديين نصارى الحيرة. نشأ الاعشى في اليمامة في محيط

(١) في الادب الجاهلي ص ٢٣٨. د. طه حسين.

(٢) شعراء النصرانية ج١ ص ٣٥٨

نصراني، وكان ينتمي الى البكرين النصاري ويذكر اساقفة
نجران وعادات المسيحيين واعيادهم ورتب رجال لديهم من
الشماسة الى المطارنة. وفي العراق كان بين ظهرائي العباد
النصاري، فكيف لا يكون نصرانياً؟ وما دلالة ذلك كله؟ ان شعره
يؤكد إيمانه، اليس الشعر ترجمان القلب ومراة الوجدان؟

يصور الشاعر الطقوس الدينية وتناول القربان بعد
الصلاة وكيف يقدسُ الراهب الخبزَ والخمر اثناء الصلاة وذلك في
وصفه للخمرة وحارسها:

لها حارسٌ لا يبرح الدهرَ بيتَها
وان ذبحت صليَ عليها وزمزمًا
ببابل لم تُعصرَ فسالت سلافةً
تخالط قنديداً ومسكا مختماً^(١)

من الطبيعي ان يكون الأعشى قد حضر القداس. ان لم يكن
قد تقرب - وألم بالنظام الكنسي، والأفما أدراه أن راعي الكنيسة
يخلط الخمر بالماء ويصلي عليها بصوت منخفض.

ويذكر التماثيل في الكنائس والمحاريب، منمنمة مذهبة،
إجلالا وتقديراً لمن ترمز، وقد جرى الشعراء في الجاهلية وبعدها

(١) زمزم: تكلم بصوت منخفض. قنديد: خمر

على هذا الاسلوب مشبهين الحبيبة بالدمية، وهذا يدلُّ على امرين:
الاول أن العرب عرفوا فن النحت او قل المنحوتات والثاني أنهم
أدركوا جمال الدمي.

كدمية صُور محرابها
بمذهب ذي مرمـرٍ مائـرٍ

وقال في بيت آخر يصف الراهب الذي يضع الصليب في
الهيكل والصور التي تمثل القديسين مشتقاً فعل صار من الصورة:

وما ايبليُّ على هيكل
بناهُ وصلَّب فيه وصارا

أيمكن ان يصدر مثل هذا التصوير عن رجل يتنزه ويزور
زيارة مجردة اي لأجل الزيارة، ام عن رجل تتكرر رؤيته لهذه
المشاهد. رأى الاعشى الراهب يضع الصليب والصور باحترام كلي
فرسم بالكلمات ما رأى.

وفي معرض ذكر الوثن نتبين أنهم عَنُوا به الصليب الذي
كانوا يضعونه في المحاريب ويطوفون به:

يطوف العفاة بأبوابه
كطوف النصرى بيت الوثن

كما أنهم كانوا يطلقون كلمة وثن على الصور والتمائيل.

كان الاعشى يسكب معانيه في قوالب من الألفاظ الجزلة،
سهلة المتناول، تلتقطها الذاكرة وترسمها المخيلة، ذلك انك ترى
في البيت الواحد أكثر من صورة:

وكأس مثل عين الديك باكرت خدرها
بفتيان صدق والنواقيس تضربُ
وكان الاعشى كان يشرب على صوت النواقيس فيشعر
باللذة أكثر، وقد اقتبس الاخل المعنى فقال:

وكأس مثل عين الديك صرف
تُنسِي الشاربين لها العقولا^(١)

وقال الاعشى في الخمرة

وكأس شربت على لذة
واخرى تداويتُ منها بها

أكان يرى الخمرة داءً ودواء كما صورها ابونواس
مقتبسا المعنى او مولداً.

(١) قالها لعبد الملك بن مروان الذي كان يجلس زفر على سريريه ليثير حفيظته.

دع عنك لومي فإن اللوم اغراء
وداوني بالتي كانت هي الداء
وكثيرا ما اقسم الالعشى بالله وبما خلق وبرب الساجدين

فإنني ورب الساجدين عشية
وما صك ناقوس الصلاة أبيلها
اصالحكم حتى تبوء بمثلها
كصرخة حبلى بشرتها قبولها

حلف برب الساجدين وبالراهب الذي يقرع الناقوس في
العشايا داعيا الناس الى الصلاة، ليجدوا ما يسرهم، ان سيجعلهم
يفرحون كما تفرح الحبلى ببشارة القابلة لها.

وقال ابن الأثير إن هوزة بن علي النصراني كان قد أسرقوما
من بني تميم ثم فك اسارهم واطلقهم يوم عيد الفصح، فقال يمدح
هوزة مبيئا صنيعة يوم عيد الفصح، ان اطلق مئة منهم وكأنه
بهذا المديح يشجع غيره من الأمراء على التسامح والعفو

سائل تميما به أيام صفقتهم
لما رآهم أسارى كلهم ضرعاً
ففكّ عن مئة منهم إسارهم
وأصبحوا كلهم من غلّ خلعا

بهم تقرّب يوم الفصح ضاحيةً
يرجوا لاله بما اسدى وما صنّعا

وبهذا الاطلاق سمح لهم، بل افسح لهم في مجال تناول
القربان راجيا بعمله ثواباً من الله. توسلوا إليه ففك أسرهم
فذهبوا وتقربوا شاكرين الله على حرّيتهم، وكأنّى بالاعشى هنا
يبلور خصائص النصرانية ويركز على تميّز المسيحيين بالعفو
والتسامح مصورا بدقة حياتهم مبيّناً أنها بالاعمال لا بالاقوال.

مرّ معنا أنّ الاعشى يقول بالقدرية وحرية الانسان ونجده
يقول بالجبرية آخذاً بالقضاء والقدر في ما يتعلق بالولادة
والوفاة، لان الانسان عاجز عن تعيين ساعة ولادته، وعاجز عن
تحديد ساعة موته:

وعلمتُ أنّ النفس تلقى حتفها
ما كان خالقها المليك قضى لها
ويقسم الاعشى بالمسيح ويمسوح الرهبان وبالكعبة التي
بناها قصي والمضاض بن جرهم:

فإني وثوبي رهب اللج والتي
بناها قصي والمضاض بن جرهم

كما يقسم بالمسيح رئيس الرهبان مبينا انه المعلم
والقائد :

وما سَبَّحَ الرهبان في كلِّ بيعة
أبيل الأبيلين المسيح بَنَ مريما

لو لم يكن الأعشى مسيحيا، أكان يقسم بثوبي
المسيح، "راهب اللج" الذي نهر البحر الهائج فأطاعه وهذا، وسار
على الماء وبمسوح الرهبان والكعبة وصرَّح بحلفه بالمسيح بن
مريم.

رأى الاعشى أن الله كريم لا يُمنَّن، ولا يكدَّر عطاءً، فاذا
سأله مؤمن وقع في ضيق، استجاب له:

رَبِّي كريم لا يكدَّر نعمة
فاذا تنوَّش د في المهارق أنشدا

شعر الأعشى سلس لا تكلف فيه، فعندما قرر ان يزور
كنيسة نجران او كعبة نجران،^(١) خاطب ناقتة محتما عليها
الزيارة

وكعبة نجران حتمٌ عليك
حتى تُناخي بأبوابها
نزور يزيذا وعبد المسيح
وقيسا وهم خير أربابها

(١) كان الجاهليون يسمون الكنيسة كعبة.

انه يمدح يزيد وعبد المسيح ابني الديان وقيل بل السيد
والعاقب اسقفي نجران وربما كان القول: يمدح ابني الديان ادق،
إذ إنه يأتي على ذكرهما ثانية:

ألا يا سيدي نجران لا يوصيَنكما
بنجران في ما نابها واعتراكما
فان تفعلَا خيراً وَتَرْتَدِيَا بِهِ
فإنكما أهل لذاك كلاكما
وإن تكفيا نجران أمرَ عظيمةٍ
فقبلكما ما سادها أبواكما
وإن أحلَبت صهيون يوماً عليكما
فإن رَحَى الحرب الدكوك رحاكما

أين التكلّف في هذه الأبيات، فالشاعر وان كان متكسباً فانه
لم يقل ابياته تكسباً، بل تقديرًا واحتراماً وشعوراً بالمسؤولية،
فالعاطفة دافئة والشعور بالخطر الصهيوني بارز والعلاج واضح.

ربما كانت الابيات الميمية تحذيراً لما وقع في ما بعد من
هجوم اليهود على اهل نجران تلك الحادثة التي أشار اليها القرآن
في سورة البروج اذ قال: "قتل أصحاب الأخدود" (١) بمناسبة هجوم
اليهود على نجران وقَتْل المؤمنين فيها واحراق الكنيسة
والاناجيل والاعشى يذكر الحادثة ويخاطب الاسقفين قائلاً: ادفعا

(١) سورة البروج

المصيبة العظيمة عن نجران، فقد تجمع اليهود عليكما وعلى
اهلكما من كل حذب وصوب، فانتبها فانهم لا يردهم غير الحرب
الضروس.

ويفخر الشاعر بيوم ذي قار، تلك المعركة التي انتصر فيها
العرب على الفرس ويتمنى لو كانت القبيلة كلها مشاركة في هذا
النصر.

ولو ان كل معد كان شاركنّا
في يوم ذي قار ما أخطأهم الشرف

وهذا يعني ان الاعشى وإن كان نصرانياً متمسكاً بعقيدته،
فإنه لم ينسلخ عن مجتمعه القبلي الذي يمثل القومية في أيامنا
هذه. وإنه وإن تتبع طقوس قومه الدينية، وتغنى بالمسيح
والقربان والبيعة والقدايس، وكلها تدلّ بوضوح على نزعته
الدينية، إلا أن ما في شعره يدلّ على نزعته القومية ايضاً. فمعدّ
قبيلته الكبرى، أحبّ ان تشاركه الفرحة بالنصر. اما الابيات
الميمية فصريحة، إنه يدعو فيها الى مواجهة العدو بسلاحه فان
نادت صهيون بالحرب، فعلى القادة ان ينفخوا في النفير ويطردوا
العدو.

ونستفيد من شعره تاريخياً، أن اليهود كانوا منذ القدم
يخططون للعدوان، وقد اتخذوا أسماء عدّة، واهمها صهيون، وبها

سَمَّوْا قَرَارَاتِهِمْ نَاسِبِينَ مَسَاعِيهِمْ وَرَوَّاهُمْ إِلَيْهَا
قَائِلِينَ: "بِرُوتوكولاتِ حُكَمَاءِ صِهْيُون". رَحِمَ اللَّهُ الْأَعْمَى.

عَدِيّ بن زيد

(المتوفي سنة ٥٨٧م)

هو عدي بن زيد بن حماد بن زيد بن أيوب من تميم، وكان أيوب قد اصاب دماً في بني امرئ القيس بن زيد مناة، ففرّ الى الحيرة ولجأ الى أوس ابن قلام احد اقربائه، ونزل قومُه الحيرة فاختلطوا بالعباد، وتحضروا ودانوا بالنصرانية.

تزوج زيد بن أيوب امرأة من آل قلام، فولدت له حماداً، وخرج زيد بن ايوب يريد الصيد فأوغل، ولقيه رجل من بني امرئ القيس وعرفه وضربه بسهم في قلبه فقتله.

مكث حماد في اخواله حتى ايفع، فخرج يلعب مع غلمان من بني لحيان، فلطمه اللحياني على عينه، فشجّ حمادُ رأسه، فجاء والد اللحياني وضرب حمادا، وسأله امه ما الامر، فاخبرها، فجزعت وحولته الى دار ابيه زيد، وعلمته الكتابة، فتولّى الكتابة للنعمان الثاني على الأرجح. وتزوج امرأة من طيء ولدت له زيداً والد عدي، وكان لحماذ صديق من الدهاقين يقال له فروخ ماهان، وكان زيد قد حذق الكتابة والعربية، فلما مات حماد اخذه الدهقان وعلمه الفارسية وأشار على كسرى ان يجعله على البريد.

تزوج زيد من نعمة العدوية فولدت له عدياً عام (٤٨٠م) فلما صار عدي يافعاً ادخله أبوه الكتاب حتى حذق الفارسية والعربية، ولماً ولي النعمان الثالث الحيرة ثبت زيداً على ولايته ونادم عدياً ، إلا أن النعمان هذا كان يدين بالوثنية. فخرج يوماً الى الصيد واصطحب عدياً واستظلوا شجرة يشربون، فقال عدي: اتدري ما تقول هذه الشجرة. قال وما تقول. قال:

رُبَّ رَكِبٍ قَدْ اِنَاخُوا عِنْدَنَا
يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ بِالْمَاءِ الزَّلَالِ
عَصَفَ الدَّهْرُ بِهِمْ فَاِنْ قَرَضُوا
وَكِذَاكَ الدَّهْرُ حَالٌ بَعْدَ حَالٍ

ثم جازوا الشجرة مارين بمقبرة فقال عدي: اتدري ما تقول هذه المقبرة؟ قال: لا، قال:

أَيُّهَا الرُّكَبُ الْمَخْبُونَا
عَلَى الْأَرْضِ الْمَجْدُونَا
كَمَا أَنْتُمْ كَذَا كُنَّا
كَمَا نَحْنُ تَكُونُونَا

فقال النعمان: أعلم أن الشجرة والمقبرة لا تتكلمان واعلم أنك اردت عظتي، فما سبيل النجاة؟ قال تدع عبادة الاوثان وتعبد الله وحده، وفي هذا النجاة. ففكر النعمان ثم تنصّر. ومروا يوماً بالخورنق فقال النعمان: هل أوتي أحدٌ مثل ما أوتيت. فقال له

لعدي، هذا الذي أوتيت، شيء لم يزل ولا يزول ام شيء كان لمن
قبلك زال عنه وصار اليك. قال: بل كان لمن قبلي، قيل ويعد هذا
لبس النعمان المسوح وساح متعبداً، وفيه يقول عدي من قصيدة
وجهها الى ابي قابوس

وتفكّر ربّ الخورنق اذ اشرف
يوماً وللهدي تفكير

وبعد ان مات كسرى انوشروان، اتصل عدي بهرمز الرابع ابن
كسرى فتولى الكتابة في ديوانه ورأس وفدًا الى بلاد الروم بهدية
الى الامبراطور طيباريوس الثاني، فساح في المملكة البيزنطية
وزار دمشق، وكان عدي قد تزوج هند بنت النعمان بن المنذر.

أما كيف حصل ذلك فقليل: كانت هند من أجمل النساء في
زمانها، وامها مارية الكندية، فخرجت في خميس الفصح وهو
بعد الشعانين قبل القيامة، تتقرب في البيعة. وكان عدي قد دخل
بيعة دومة او بيعة توما ليتقرب وكانت البيعة مليئة بالسُرُج^(١)
وفيها عدد من الرواهب^(٢) انقطعن الى العباداة، فرأى هنذا فسأل
بعد ان خرج من البيعة، فقليل هي بنت النعمان، فوقعت في نفسه
وبقي حولا على ذلك.

(١) السرج: جمع سراج فتيلة بالزيت.

(٢) الرواهب جمع راهبة

ثم ان عدياً، بعد الفصح بثلاثة ايام صنع طعاما، وأتاه
النعمان فسأله ان يتغذى عنده هو وأصحابه، ففعل، فلما اخذ منه
الشراب، خطب هنذا الى ابيها النعمان فأجابه، وزوجه، فظلت معه
حتى قتله النعمان، وذلك ان الاحوال ساءت بين عديّ والنعمان،
فاحتال النعمان وحبس عدياً، ولما أحس بتدخل كسرى ملك
الفرس، ارسل اليه من خنقه في سجن الصنّين. أما هند فقد تهربت
بعد قتل زوجها وحبست نفسها في الدير المعروف بدير هند في
ظاهر الحيرة وبقيت فيه حتى ماتت.

حفلت قصائد عدي بن زيد بالحكم المستمدة من عقيدته
الدينية، فقوله للنعمان ما اوحته الشجرة والمقبرة لخير دليل على
ذلك. فلكلّ زمان دولة ورجال، وكل عظيم سيثوي في التراب وكل
حقير ايضا فلماذا يطغى الانسان ويتجبر، ايجهل ذلك ام انه يلتذذ
بالطغيان ايام عنفوانه وهل يدري أيوم ذلك ام لا؟

أعاذل إن الجهل من لذة الفتى
وإن المنايا للرجال بمرصد
أعاذل ما يدريك ان منيأتي
الى ساعة في اليوم أو في ضحى الغد

ثم يقول حاثاً القادة على الابتعاد عن الغواية، لان الناس على
دين ملوكهم اي يقتدون بالحكام، وعلى قول احد الشعراء:

إذا كان ربُّ البيت بالطبل مولعاً
فشيمةُ أهل البيت كلُّهم الرقصُ

فإذا لم يردع الرائد نفسه عن كل ما يدنسها فإنه
سينحرف.

فنفسك فاحفظها عن الغيِّ والردى
متى تُغوها يغو الذي بك يقتدي

غير ان الانسان كثيرا ما يصاب بالاحباط، خاصة اذا
سار باستقامة ووفاء وتسامح وحب الخير للناس، وكدر عليه ذلك
حياة متقلبة في حين انه كان يتوقع النجاة من عنت الدهر.

ماذا ترجي النفوس من طلب الخير
وحُبِّ الحياة كاريها
تظن أن لن يُصيبها عنت الدهر
وريبُ المنون صائبها

لذلك على الانسان ان يقتنع بما لديه ويلبس لكل حالة
لبوسها، لا أن يعاكس التيار

إلبس جديدَكَ، إنني لابس خلقي
ولا جديدَ لمن لا يلبسُ الخلقا

كان عدي نصرانيا يرسل حكمه وفيها نفحات من الدين
المسيحي الذي لم يلغ حكاية الخلق فتناولها عدي ذاكرًا ان الله

خلق كل شيء في ستة أيام وآخر خلقه كان آدم الذي جبله من طين.

قضى لستة ايام خلائقه
وكان آخر شيء صوّر الرجال
دعاه آدم صوتا فاستجاب له
بنفخة الروح في الجسم الذي جبّلا

وقد وردت لديه الفاظ، تدلّ على العادات والتقاليد والطقوس مثل: المئذنة: محل التأذين وكان نداء للصلاة قبل استخدام الناقوس وقد وردت بمعنى المنارة والصومعة، وجاء في تاج العروس المئذنة: موضع الأذان للصلاة، أو المنارة، ومن مرادفات المنارة المصباح

بِتَلْ جَخَوْشْ مَا يَدْعُو مُؤَذِّنْكُمْ
لَا مَرْرَشْدٍ وَلَا يَخْتِثُ أَنْفَارًا

اذن، كان النصارى يؤذنون للصلاة، وهذا مرّ معنا سابقاً: "واكتشف الاثريون في كنائس ما بين النهرين وشمال سوريا عدة كنائس كانوا شيدوا في اعلاها ابراجاً مستديرة او مربعة يؤذنون فيها بمناسكهم"^(١). وكانوا يسمّون كل سفر "كتاب الله" وكان الراهب يقرأ في احد أديرة النصارى فقال عدي:

(١) النصرانية وأدبها ص ١٧٥

ناشدْتَنَا بكتابِ اللهِ حرمتَنَا
ولم تكن بكتابِ الله تترفع

وقد وردت في شعره كلمات خاصة بالطقوس النصرانية
مثل الشبر، وهو الطعام والغذاء وارادوا به قوت النفوس اي
القربان وقد أقسم به:

إذ أتاني نبأ من منعم
لم أخنه والذي اعطى الشبر

والدير هو بيت يتعبد فيه الرهبان او الراهبات ويشاد
عادة في الصحارى والاماكن النائية ورؤوس الجبال

نادمت في الدير بني علقما
عاطيتهم مشمولةً عَنْدَمَا (١)
كَأَنَّ رِيحَ الْمَسْكِ فِي كَأْسِهَا
إِذَا مَزَجْنَاهَا بِمَاءِ السَّمَاءِ

ويعصف مساعدته للرهبان الذين جاءوه باكراً لملء
القنديل زيتاً فصبحهم بإناءٍ كبير كوعاء حالب الناقة او غيرها
من الأنعام.

بكروا عليّ بسحرة فصبحتهم
بإناء ذي كرم كقعب الحالب

(١) العندم : البقم. هو نبات يشبه الدم وقيل دم الاخوين

بزجاجة ملء اليدين كأنها
قنديل فصح في كنيسة راهب

قدّم لهم الإناء تقديم كريم معطاء مشيرًا الى تعمير قنديل
الفصح وينتقل ليذكر ايليا والمظلة السحابيّة، وربما اراد ان يشير
الى الصعود.

واهبط الله إيليا وأوعده
نارًا تلهب بالإسعار والشرر

وكثيرا ما ذكر الجاهليون الانجيل وبينوا ما فيه من
ارشاد وهدى وحكمه ونور

وأوتيا الملك والانجيل نقرأه
نشفي بحكمته أحلامنا علّا
من غير ما حاجة الأليجعلنا
فوق البرية أربابا كما فعلا

كما تكرر ذكر الصليب والحنف به فمن قصيدة قالها وهو
في الحبس يعاتب بها النعمان:

سعى الاعداء لا يألون شرًا
عليك وربّ مكة والصليب

أرادوا كي تُمَهَّلَ عن عديٍّ
ليسجن أو يُدَهَّدَ في القليب^(١)

لا أعتقد ان الشاعر ذكر الكل مشيرا الى الجزء فقد حلف
برب مكة، بالله رب كل شيء، وكيف يشير الى الكعبة وهو الذي
هدى النعمان الثالث فتنصر على يديه؟ يبين الشاعر هنا نوايا
الاعداء الذين ارادوا أن يسجن ويدحرج الى البئر، ويقول إنه فاز
عليهم، ويعرّج على بيته فيذكر النساء المنتحبات عليه والظلم
الذي لحق به، ويطلب منه أن يأخذ بالرأي الصائب

فهل لك أن تدارك ما لدينا
ولا تغلب على الرأي المصيب

وينهي الابيات متكلا على الله الذي يستجيب الدعوات

فإنني قد وكلت اليوم أمري
الى رب قريب مستجب

ومن قصيدة قالها في سجنه معتبرا كعاداته، بصروف
الدهر لأن الدهر حبلى ليس يدري ما تلد، ومن يستطيع أن يتكهّن
بالمستقبل؟ وكأنني به يقول للنعمان الأكبر الذي اعتبر في الحياة
والموت، فاعتزل الملك حتى لا يخسر نفسه، فترك الدنيا ومالها
لأنه زائل، ودان بالنصرانية وتزهد ولبس المسوح وتنسك وساح
في القفار.

(١) يدهده: يدحرج من فوق الى اسفل . القليب: البئر، القبر.

أرواحٌ مُودَّعٌ أَمْ بِـ كـ وُورُ
لك فاعمد لاي حال تصير

يقول أذهاب فوداع ام بكور فلقاء، فاعتمد أيهما تريد ولا
تنسَ ان تنظر الى آخرتك وتعتبر بغيرك. ويتطرق الى ما يصنعه
النصارى في محاريبهم، ويصور الروض المتفحُّ الزهور، وكأنها
شموع مضيئة كدمى العاج في المحاريب أو كالزهر الابيض في
الروض، ثم يسرد اسماء عظماء اهم منه، طغوا وبغوا ثم اندثروا.

اين كسرى، كسرى الملوك أنو شروان، ام اين قبله سابور
وينو الأصفر الكرامُ ملوكُ الروم لم يبقَ منهمُ مذكور
وأخو الحضْر اذ بناه، واذ دجلة تجبى اليه والخابور^(١)
شاده مرمراً وجلَّله كلِّسًا فللطير في ذراه وكورُ
لم يَهَبْه ريبُ المنون فباد الملك عنه، فبابه مهجورُ

ويذكر ربَّ الخورنق وما كان يملك، وينهي ابياته بقوله
ثُمَّ صَارُوا كَأَنَّهُمْ وَرَقٌ جَفَّ
فَأَلْوَتْ بِهِ الصَّيْبَا وَالْدِّيُورُ

وكانه يقول: ألم تعظك الاحداث، ألم ترَ أن من كان له، بات
كالورق الساقط تتقاذفه الرياح الشرقية والغربية.

(١) الحضْر: قصر بجبال تكريت. الخابور: نهر يصب في الفرات.

وقد زارته أمه في السجن فتأثر وحزن والمحزون والقانط
يعود الى الله مستجيراً مستنجداً ملقياً اعباءه الثقال على الخالق
تعزية لنفسه لانه:

ليس شيء على المنون بـباق
غير وجهه المسبّح الخلاق
ان نكن آمنين فاجأنا شرّ
مصيب ذا الود والاشفاق
واذهبى يا أميم إن يشأ الله
ينفس من أزم هذا الخناق
او تكن وجهة فتلك سبيل الناس
لا تمنع الحتوف الرواقي

وفي قصيدة اخرى يبرّر نفسه ويشكو همه، يعود إلى الدين
ويشبه نفسه براهب، والراهب لا يكذب مؤكداً انه صادق في حلفه.

طال ذا الليل علينا واعتكر
وكأنى ناذر الصبح سَمَز

كانه نذر ان يسهر حتى الصباح لعلّ الصباح يأتي بجديد،
وبعد ان يقسم بالشبر أنه لم يخن، يوجه كلامه الى النعمان

إذ اتاني نبأ من منعم
لم اخنّه والذي اعطى الشبر

ابلغ النعمان عني مألِكَا
قول من قد خاف ظنًا فاعتذر
أنني والله فاقبل حلفي
لأبيل كَلَمًا صلى جار^(١)

ونتهي الموضوع بحكمة دينية بين فيها حيرة الانسان بين
المادة والروح اذ ان الانسان لا يقدر ان يخدم سيدين:

نرَقع دنيانا بتمزيق ديننا
فلا ديننا يبقى ولا ما نرَقعُ

يقول: في الانسان نزعتان واحدة ايمانية دينية تشده الى
التسامي والخير واخرى دنيوية مادية تشده الى حطام الدنيا
ليترك الروحانيات، وهو حائر بينهما، اذا اخطأ وشعر بخطئه
عاد الى الدين، واذا اطمأن شدته الدينا إليها، ويظل هكذا في
تجاذب مستمر يفقده الدنيا والآخرة جميعا.

هذه الفكرة نجدها عند ابن سينا الذي اعتبر النفس البشرية
ذات جنبتين جنبة تشدها الى الاعلى وجنبة تشدها الى الاسفل،
فالتى تهتم بالبدن، تشدها الى الاسفل الى المادة والتي تهتم
بالباقى الخالد تشدها الى فوق عل الانسان يقترب من الكمال.

(١) جار: رفع صوته بالدعاء

القس بن ساعده

(المتوفي سنة ٦٠٠ م)

هو قس بن ساعدة بن عمرو بن عدي بن إياد، أسقف نجران، وكلمتا قس واسقف واضحتا الدلالة على انه كان نصرانياً، وكلمة اسقف كانت لقب المطران آنذاك. كان قس خطيباً شاعراً حكيماً حلّيماً، وكان اول من قال "أمّا بعد"، والبيّنة على من ادعى واليمين على من أنكر، وقد قال فيه الاعشى:

وأفصحُ من قسٍ وأحرى من الذي
بذي العين من خفان أصبح خادراً^(١)

كان قس يفد على قيصر فيكرمه. وقيل سأله مرة: ما أفضل العلم؟ قال: معرفة الرجل نفسه، قال وما افضل العقل؟ قال وقوف المرء عند علمه، قال وما افضل الادب؟ قال استبقاء الرجل ماء وجهه.

لا شك ان قساً كان مسيحياً مؤمناً بالقيامة، يلبس المسوح تقشفاً ويسير على منهاج المسيح سائحاً، وبحكمته كانت تضرب الامثال. ومن خطبة المأثورة ما رواه ابو بكر الصديق قال: لست انساه في سوق عكاظ يوم قال: "أيها الناس، اسمعوا وعوا، من

(١) الخادر: الفاتر - الكسلان - والمقيم في خدره.

عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آتٍ آتٍ ليلٌ داجٍ وسماء
 ذات أبراج وبحار ذات فجاج... إن في السماء لخبراً وإن في الأرض
 لعبيراً، ما بال الناس يذهبون ولا يرجعون؟ أرضوا فأقاموا أم
 تركوا فناموا؟ يا معشر آياد، أين الآباء والأجداد؟ واين الفراغة
 الشداد؟ ألم يكونوا أكثر منكم أموالاً واطول أجالاً؟ طحنهم الدهر
 بكلِّه ومزقهم بتطاوله.

في الـ _____ بين الاولين
 من القرون لنا بصائرُ
 لما رأيت _____ وارداً
 للموت ليس لها مصادر
 ايـ _____ انت اني لا محالة
 حيث صار القوم صائر

الا يتضح من هذا الكلام ان قساً كان مؤمناً، فقد تأمل بأناة
 في الاحداث المتلاحقة في ايامه وقارن بين حاضره وما مضى،
 والحاضر يشبه الماضي كما يقول ابن خلدون، فاستخلص العبر
 ووعظ الناس طالباً منهم ان يتعظوا بمن سبقهم من فراعنة
 وقياصرة وأكاسرة لم ينفعهم ما شادوا وما بنوا وما جمعوا ولم
 يحمهم سلطانهم من سطوة الموت، لقد احتواهم التراب وكأنهم لم
 يوجدوا. وعظهم وخصَّ قبيلته، مبيناً ان الغيب لا يعرفه الا الله
 الذي رفع السماء وكوّر الارض وجمع الماء، وانهى أعمار الأحياء،
 الذي لا تسقط شعرة من شعور رؤوسنا الا بعلمه. ازال الاقوياء

وخضد شوكتهم، فالحياة ليست مالا وجاهًا ومكانة، حتى نتشبت
بالمال والسلطة، فكل شيء يتغير الا الباري، فعلى مَ الأثرةُ
والبغضاء والحسد والنميمة والانتقام وكلُّ يدرك أن الانسان مَهْمَا
تكبر وتجبّر فسيطويه لحدّ يساوي بينه وبين الفقير والصلعوك.

وفي قصيدة له يذكر فيها الموجودات جامدة ومتحركة كالليل
والنهار والجبال والبحار والابرار والاشرار، وكأنه يلخص حكاية
الخلق والناس الذين شادوا القصور فبقيت وذهبوا، وكان كلما
تأمل في الخلق خرج بعبر تشير الى تعمقه في الثقافة المسيحية
وقد استهل قصيدته هذه بقوله:

هاج للقلب من هواه اذكأر
وليالٍ خلالهن نهار

ويعد ان يصور بعضًا مما ابداع الله يبين انها تدل على المبدع.

والذي قد ذكرت دلّ على الله
نفوساً لها هدى واعتبار

وأخبر بعض معاصريه أنه كان ينكت الارض تحت ظل شجرة
ويقول:

يا ناعي الموت والملحود في جدث
عليهم من بقايا خزهم خرق

دعهم فان لهم يوماً يُصاحُ بهم
فهم اذا انتبهوا من نومهم فرُق
حتى يعود بحال غير حالهم
خلقا جديداً كما من قبلها خلَقوا

ترى هل يتحدث قس عن الموت والقيامة عندما يصيح الملاك
بالموتى قوموا فساعة الحساب قَرِبَتْ فيعودون الى الله خلقا
جديداً لان الله يلبسهم جسدا لا يفنى. ألا نتبيّن من هذه الابيات
أن قساً كان نصرانياً مؤمناً بحكاية الخلق واعيا لعقيدته متعمقا
في أبعادها. مؤمناً بالبعث والنشور. أنلوم الموت، والميت في
القبر، والموتى تخرّقت ثيابهم الحريية. فلماذا يكتنز الناس
كنوزاً على الارض، ألم يقل المسيح "لا تكنزوا لكم كنوزاً على
الارض حيث يفسد السوس والصدأ وحيث ينقب السارقون
ويسرقون، بل اكنزوا لكم كنوزاً في السماء حيث لا يفسد سوس ولا
صدأ وحيث لا ينقب سارقون ويسرقون." (١) وهذه الكنوز هي اعمال
البرّ التي تبقى، هي العمل الصالح والخير المتوخى والايمان
بالله الحي وبالانجيل وما جاء فيه لان الله يوم القيامة يعيد
خلق الناس، ويكسوهم اجساداً جديدة لا تفسد أمّا الذين يبغون
الشرّ فيُعزّون من رحمته ويعذبون كالذي طلب من ابراهيم ان
يرسل لعازر ليبلّ لسانه بقطرة ماء.

(١) انجيل لوقا ١٩: ٦

قال القس هذه الابيات وهو جالس بين قبرين بجوار دير سمعان قرب الشام، وقيل كان اسدان يلوذان به ويتمسحان فسأله الرواي: ما هذان القبران؟ قال هذان قبرا أخوين لي كانا يعبدان الله معي في هذا المكان. فادركهما الموت فقبرتهما وها انا هنا حتى ألحق بهما، واردف قائلاً:

خليلي هباطالما رقدتما
اجدكـما لا تقضيان كراكما
ألم تعلمـا أني بسمعان مفرد
وما لي فيها من خليل سواكما

كاني بقس لم يعرف أحدًا فنادى أخويه يسليانه وكانهما الصديقان الوحيدان الوفيان، وهو وحيد في دير سمعان لا يونسه احد لأن خليليه طال رقادهما. وظلّ يخاطبهما فلا يجيبان، وصمم ان لا يبرح حتى يجيباه، وهذا المعنى ورد في تعاليم المسيح، "لم يمـت ولكنه نام" والرقاد موت قصير والموت نوم طويل.

أكثر شعر قس ضائع، ولكن ما بقي لنا منه، يكفي للدلالة على عمق نظرته الى الحياة وتمعنه في أسباب الوجود واسرار الخلق التي تعظم الرب المعبود الذي لم يخلق الخلق عبثاً.

الحمد لله الذي
لم يخلق الخلق عبث

وعلينا نحن ان نتأمل بحواسنا وارواحنا لان الحواس
تتجاوب والارواح تتناغم وتتهامس.

كأنكما والموتُ اقربُ غايةٍ
بروحِي في قبرِنكما قد أتاكما
أنعم القس النظر في الطبيعة وتغنّى بجمال الخالق، فوصف
ليل الطبيعة ونهارها، شمسها وقمرها، سماءها وهواءها
فصدرت عنه الحكم التي كانت تنعكس من على مرآة إيمانه

منع البقاء تقلب الشمس
وطلوعها من حيث لا تمسي
وطلوعها حمراء صافيةً
وغروبها صفراء كالورس
تجري على كبد السماء كما
يجري حمام الموت في النفس

ومن خطبة جاء فيها :”أيها الأشهاد، أين ثمود وعاد، أين
الآباء والاجداد... هل تدرون الى ما صار اليه عبادة الفتاح،
واذينة الصيَّاح وجذيمة الوضَّاح، عزَّوا وقهروا، ونهوا وأمروا،
وغرسوا الاشجار واستخدموا الليل والنهار، فحُصَّت الأجال دون
الآمال وان كلُّ شيء الى زوال.” وهذا القول يذكرنا بالمثل الذي
ضربه المسيح عن الغني واهراءاته التي قال إنه سيبنِّيها ليرتاح
مدى العمر.

فليعتبر أولو الابصار الذين يجمعون ويمنعون ويدخرون،
وكانهم في مراكزهم خالدون، فكأنهم لم يقرأوا التاريخ ولم
يعتبروا ولم يسمعوا بما حلّ بالسالفين:

فَتَكَ الزَّمانُ بِمُلْكِ حَميرَ فَتَكَةً
تَسْعَى بِكُلِّ عَشِيَّةٍ وَصَبَاحٍ
أَفْبَعِدَ أَملاكِ مَضُوا مِنْ حَميرٍ
يُرجى الفلاح ولات حينَ فلاحٍ

تمزقت ممالك وذُلِّلَتْ هاماتٌ وطواها الزمان فهل يرجى منها
فلاح وقد اندثرت، وقد كانت قوية مرهوية، فمن يستطيع ان
يلاطم الموت.

من ذا تصافقُ كَفَّهُ كَفَّ الردى
يشري التقى عن بيعة الارواح

من يستطيع ان يقاوم الموت وينال التقوى التي تصدر عن
الكنيسة، ومن الذي يقدر أن يغذي روحه بالعنف.

من خطب القس واشعاره، نتبين دماثة اخلاقه وقويم
تصرفاته وايمانه بالله الحي الخالق الواهب الارواح، المنير
النفوس، لينطلق الانسان فكراً وقلباً وروحاً ممجداً بارىء
الاكوان.

أبعد هذا هل نستطيع ان نقول لم يكن قس بن ساعدة مسيحيا
فاسمه وشعره يؤكدان ان على ذلك، وهما أقوى برهان على
نصرانيته.

أُمَيَّةُ بن أَبِي الصلت (المتوفى سنة ٦٣٠ م)

هو أُمَيَّةُ بن أبي الصلت العنزي الثقفي الإيادي، قيل إنه كان يطمع في النبوة، وقيل إن الجنَّ كانت تطيعه، وقيل كان من النسَّاك يلبس المسوح تعبدًا، على أنه، مما لا شك فيه، كان من رؤساء ثقيف وفصحائهم، اطلع على الكتب القديمة، كتب الدين كال�توراة والانجيل، فذكر الخلق في قصيدة لخص فيها القصة ننتقي منها ما يدخل في ما نحن بصده:

إِلَهِ الْعَالَمِينَ وَكُلِّ أَرْضٍ
وَرَبُّ الرَّاسِيَّاتِ مِنَ الْجِبَالِ
بَنَاهَا وَابْتَنَى سَبْعًا شَدَادًا
بِلَا عَمْدٍ يُرِينَ وَلَا رَجَالِ

وفي مآتي ابراهيم، يذكر التضحية، ولكنه يعود بالتاريخ الى الوراء الى الطوفان وارسال نوح الحمامة التي عادت اليه بغصن الزيتون بشارة بالسلامه ونوح اطاع الله فنجاه.

سَمِعَ اللَّهُ لَابْنِ آدَمَ نُوحٍ
رَبَّنَا ذُو الْجَلَالِ وَالْأَفْضَالِ

الله نجى نوحًا واهله وهو القادر أن يُنَجِّي من أراد ومتى أراد ولهذا فأمية يمدحه شاكرًا على نعمه:

الى الله أهدي مدحتي وثنائيا
وقولا رصينا لا يني الدهر باقيا

ثم يتطرق الى قصة لوط وخراب سدوم وغير ذلك مما سنذكره
دراسة وتحليلا.

ورد في شعر أمية كلمات لم تكن مألوفة استقاهها الشاعر إما
من السريانية وإما من العبرية كالساهور والسليط

"قمر وساهور يُسَلّ ويغمد."
"والسليط فوق الارض مقتدر"

وفي موضع آخر سمى الله التغرور. وروي عن مصعب بن
عثمان انه قال: كان أمية بن أبي الصلت قد نظر في الكتب وقرأها
ولبس المسوح تعبدًا وكان ممن آمن بالتوحيد وذكر الحنيفة في
شعره، وتحدث عن البطارقة كما سنرى.

ربما تأثر أمية بالتوراة، اذ تحدث عن ابراهيم وسدوم وعمورة
والطوفان، غير أنه من الواضح أنه أتى بكلمات والقباب تخص
المسيحيين وحدهم مثل: القيامة التي لا يؤمن بها إلا المسيحيون
ولقب البطريق، اما الحنيفة فقد ترمز الى الصدق والاستقامة وقد
يقصد بها المسيحية،^(١) الدين الشفاف الذي يقوم على اتباع سيرة

(١) راجع: موسوعة الحضارة العربية ج١ ص ٢٧

المسيح وتعاليمه، وعلى التسامح والوفاء والعفو والمحبة
وتطبيق ما وصل من بشارات.

أدرك أمية الاسلام ولكنه لم يُسَلِّم، بل حرّض قومه على الثأر
من أعدائهم في وقعة بدر:

ألا بكيت على الكرام بنى الكرام أولي الممادح
أن قد تغيّر بطن مكة فهي موحشة الا باطح
من كل بطريق لبطريق نقي اللون واضح
القائلين الفاعلين الأمرين بكل صالح

من الواضح ان أمية يشير بقوله: "قد تغيّر بطن مكة" الى
النصرانية التي كانت منتشرة فيها، هؤلاء النصارى الآمرون
بالمعروف الناهون عن المنكر، المنجدون الضعيف الذين إن أوى
اليهم احد أطعموه، فكيف تخلو مكة منهم.

وله في الكمالات الالهية قصائد جيدة منها:

لك الحمد والنعماء والملك ربّنا
فلا شيء أعلى منك مجداً وأمجداً
ملك على عرش السماء مهيمناً
لعزته تعنوا الوجوه وتسجد
فلا بصراً يسمو اليه بطرفه
ودون حجاب النور خلق مؤيد

ملائكة اقدمهم تحت عرشه
بكفيهِ لولا الله كلّوا وأبْلَدوا

يحمد الشاعر ملك الملوك، الرب الذي لا يرقى الى مجده ماجد
ويشكره على نعمه، هو المليك المطلق السلطة، هو في هالة من
نور، لا تسمو اليه الابصار، ولا يدركه البشر إلا بالعقل والتصور،
تخدمه الملائكة في مراتبهم.

أمينٌ لُوحى القدس جبريلُ فيهم
وميكالُ ذو الروح القويُّ المسدّدُ
ملائكة لا يفترّون عبادةً
كروبيّة منهم ركوع وسجّدُ
وراكعهم يحنّو له الدهرُ خاشعاً
يردّدُ آراءَ الاله ويحمّدُ
هو الله باري الخلق والخلق كلّهم
إماءً له طوعاً جميعاً وأعبدُ
وأنّى يدومُ الخلق كالخالق الذي
يدوم ويبقى والخليقة تنفدُ

أمية مؤمن ان لا شيء يدوم كما هو الآله، لأن كل موجود
متغير وحال الدنيا التغير، لانها لا تدوم لاهلها ولا اهلها يدومون
لها، مهما كان الانسان فيها ذا هيبة ومكانة.

إذا انقلبَت عنه و زال نعيمها
وأصبح من ترب القبور يُوسد
وفارق روحًا كان بين جنانه
وجاور موتى مالههم متردد
فكن خائفًا للموت والبعث بعده
ولا تك ممّن غرّه اليوم أو غد

الابيات ملأى بالعبر، فالبشر الشاطحون في احلامهم تغرهم
الدنيا وتخدعهم بهارجها، فلينظر الانسان الى حياته كيف يولد
وينمو ويشيخ كالقمر يسير من هلال الى بدر الى عرجون، فكل ما
على الارض فان الا الخالق والآية "كل ما عليها فان ويبقى وجه
ربك ذو الجلال والاكرام" تشبه هذا القول. (١)

ونفنى ولا يبقى سوى الواحد الذي
يُميتُ ويُحيي دائبًا ليس يهمدُ

حكاية الاماته والاحياء واضحة الدلالة على نصرانية الشاعر،
وفيها اشارة الى عجائب المسيح الذي أحيا الموتى، وشفى
المرضى، وهو ذاته مات وقام.

للشاعر في الخلق والدينونة ابيات يعترف فيها باله العالمين
الذي رفع السماء بلا اعمده ويسط الارض وشقها فجرت العيون

(١) الرحمن: ٢٧

والانهار ليستفيد منها الناس، ولكن لا يظنُّ أحد أنه سيخلد فكل
حي سيدبل كالنبتة،

ويَفْنَى بعد جدَّته ويَبْلَى
سوى الباقي المقدس ذي الجلال

أما المجرمون الذين يرسفون في الاغلال

فليسوا مَيِّتِينَ فيستريحوا
وكلهم بحرُّ النار صالي

هؤلاء لا يموتون بل يبقون بين الحياة والموت ليتحسسوا
العذاب جزاء أفعالهم. وبين هذا المعنى وما جاء في الآية: "إن
الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا ، كلما نضجت جلودهم
بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب." (١)

وفي قصيدة أخرى يتحدث فيها عن لطف الله بالعباد طالبا
من الانسان ان يصبرَ على المصيبة والأَ يضيق بالامور، لأن الله
يكشف له غمَّاءها فلا يقنطنَ من رحمة الله احد، ولا يهرينَ من
القدر والعزاء الا عند الله

يا قليل العزاء في الاهوال
وكثير الهموم في الاوجال (٢)

(١) النساء: ٥٥

(٢) الاوجال : الشدائد . المخاوف

ثق بالخالق فهو لم يخلقك عبثاً، فهو يحضنك ويرعاك ولا تخف فربّ خائف من حتفه يقع، ومُقَدِّم غير هياب ينجو قد يصاب الجبان في آخر الصف وينجو مقارعُ الابطال وبعد ذكر نوح ينتقل الى ابراهيم الموفي بنذره:

ولا بـإِبراهيم الموفي بـنـذـرٍ
احتساباً وحامل الاجزال
ربما تجزع النفوس من الامر له
فرجة كحلّ العقال

المعتمد على الله تهون مصائبه لان الله يفرج كربيته. ويذكر الشاعر آيات ربه وعجائبه ويقول كل من ينكرها يكون كافرا وحسابه عسيراً

إِنَّ آيَاتِ رَبِّنَا بَاقِيَاتٌ
مَا يَمَارِي فِيهِنَّ الْكَفُورُ
خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ كُلُّ
مُسْتَبِينٌ حِسَابُهُ مَقْدُورُ
كُلِّ دِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ اللَّهِ
الْأَدِينُ الْحَنِيفُ فُتَّةُ زُورُ

آيات الله وعجائبه تتجلى في خلقه، وموجودات الدنيا وخفايا الكون تشير الى عظمته والدين الحنيف هو الذي يترك معتقده عبادة الاصنام ويتعبد لله، والحنيفة أو الحنيفية تعني النصرانية

كما وردت في أشعار الجاهليين^(١).

أما التوحيد فوافر في شعر أمية الذي وصلنا فهو يمدح الله ويثني عليه ويعبده وحده، والصلاة الربانية، يتلوها الانسان خاشعا قائلا: ابانا الذي في السماوات، مستغفرا طالبا الطعام .

يحث أمية الانسان على ان لا يخفي عن الخالق شيئا لانه علام الغيوب والا يعبد غيره

ألا ايها الانسان إياك والردى
فإنك لا تخفي عن الله خافيا
واياك لا تجعل مع الله غيره
فان سبيل الرشداصبح باديا

الم يقل المسيح: فابوك الذي في الخفاء يرى عملك

"الم ينه عن عبادة الاوثان، ألم يقل لا تعبدوا الا الله، وهذا المعنى ورد في كثير من السور كسورة هود والاسراء آية ٢٧ وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه. والعنكبوت إنما تعبدون من دون الله اوثانا"

(١) انظر موسوعة الحضارة العربية ج١ ص ٢٧

اما صفات الخالق فقد صورها في أكثر من قصيدة:

لولا وثاقُ الله ضلَّ ضالُّنا
ولسرنا أنا نتلَّ فنوَادُ

ولولا تعاليم النصرانية التي دعت الى المحبة والتضحية
والحنان لكان الجاهليون يُسرُّون بالعنف وكانوا يصرعون
ويدفنون أحياء.

ويبين ان الانسان مهما نال من حظوة ومال وخير فإنه يظل
يتنكر للنعم، فالارض تنتج القطن (الطوط) فيلبس والابل تمنح
الوبر فيدفاً

والطوط نزرعه فيها فنلبسُهُ
والصوف نجتزهُ ما أَدفأ الوبر
هي القرار فما نبغي لها بدلاً
ما أرحم الارض إلا أننا كُفِرُ
إن الأنعام رعايا الله كلُّهم
هو السليطُ فوق الارض مستطرُ

أما الملائكة فموجودون حتَّى في الماء تحت الأرض:

وتحت كثيف الماء في بواطن الثرى
ملائكةٌ تنحطُّ فيها وتسمع

وله في الموت وما بعده حكم، منها قوله في قصيدة مطلعها:

باتت همومي تسري طوارقها
أكفُّ عيني والدمعُ سابقها
ما رغبة النفس في الحياة وإن
عاشت طويلاً فالموت لاحقها
قد انبئت أنها تعود كما
كان بدياً بالأمس خالقها
يوشك من فر من منيته
يوماً على غرة يوافقها
إن لم يمْتَ عبطة يمْتَ هرماً
للموت كاس والمرء ذائقها

تنيحُ الهموم بكلاكها على كواهل البشر، وقد تبكي الانسان فلماذا يتشبث بالدنيا ويرغب في امتداد العمر؟ فمهما طال، فلا بدَّ يدركه الموت، والنفس تعود كما كانت قبل دخولها البدن فمن لم يمْتَ شاباً فسيموت شيخاً.

كان أمية نصرانياً، وإن ذكر حكايات من التوراة، فقد ذكر البعث والنشور، والقيامة، وتعاليم المسيحية التي ضمن شعره نفحات منها

وقد ذكر بشارة مريم العذراء بالمسيح الذي حبلى به من الروح القدس حيث قال لها الملاك ستحبلين وتلدين ابنا تسمينه يسوع:

فأدركها من ربها رحمةً
بصدق حديث من نبيٍّ مكلّمٍ
أنبيي وأعطي ما سئلت فإنني
رسولٌ من الرحمن يأتيك بابنم

كما تحدث عن مجيء المسيح يوم الدينونة وقضائه وعدله:

أيام يلقى نصاراهم مسيحهم
والكائنين له ودًا وقربانا

لانه يحاسب الناس على اعمالهم بالحق، فمن عمل صالحا
فصلاحا يجازى ومن عمل باطلا او شرا يلق ما يناسب عمله من
جزاء.

لك الحمد والمنُّ ربَّ العباد
انتَ الملِكُ وانتَ الحكيمُ

والعباد قبائل اجتمعت في العراق على دين النصرانية،
ويطلقون هذا الاسم على كل من يعبد الله الحق.

ولو قيل ربُّ سوى ربِّنا
لقال العبادُ جميعا، كَذِبُ

لم يعترف أميه باله غير إلهه، فهو الملك الأعلى والمالك الكل ولا يرقى الى مرتبته شي لذلك يرضى به ولا يدين غيره.

الى المَلِكِ الأعلى الذى ليس فوقه
إِلَه ولا رَبُّ يَكُونُ مَدَانِيَا
رضيت بك اللهم رَبًّا فَإِنْ أُرَى
أدين الهَا غيرك الله ثَانِيَا

فان: ان هنا بمعنى ما ينفي أمية عن نفسه عبادة إله غير الله، فهو لا يدين غير الخالق. فنعم العباد المصطفون لامر الله، الذين تحيط بهم عناية الله وتحميهم من كل ما يمكن ان يؤذيهم، كما يحمي الجنود من يحرسون غير ان جند الله لا يهزمون.

النابغة الذبياني

(المتوفي سنة ٦٠٤ م)

هو أبو امامة زياد بن معاوية... بن ذبيان بن مضر. نشأ في الطبقة الوسطى من قومه. أغفل التاريخ ذكر ميلاده، ولم يسرد عن حياته غير أنه لم يرث الشعر عن أب أو أم، أو عم أو خال، ولم يشتهر أحد من أسرته بقول الشعر كزهير.

ولد النابغة في ذبيان وعاش على تخوم غسان من جهة وإلى جانب هوازن من جهة أخرى، لا يعرف من الوجود إلا أودية نجد وما يسمعه من الركبان.

كان شاعراً بعيد النظر حسيفاً، ذكياً، يقود ويرشد ويدعو إلى الحرب كما يدعو إلى السلم، ويخوض في شتى شؤون المجتمع القبلي في حكمة وسداد وتبصر.

أخذ الشاعر يتنقل بين ملوك الحيرة وملوك غسان مادحاً متكسباً، فشاع ذكره ورغب الملوك في اصطفاؤه، ولما تسلم النعمان ابن المنذر أبو قابوس أمر الحيرة وأغدق على الشعراء العطاء وأحسن وفادتهم اهتبلها النابغة فرصةً فاتصل به، بعد انقطاع عن ملوك الحيرة إلى الغساسنة، فانقطع إليه مدة سبع سنوات دون أن يقطع صلته بالغساسنة لأنهم:

ملوكٌ واخوانٌ اذا ما أتيتُهم
أحَكُّمُ في اموالهم وأقربُ

وهذا من قصيدة يعتذر بها من النعمان بن المنذر الذي لأمه
على مدائحه للغساسنة وقتلها له، سائلاً أتلومُ من يشكر على
احسانك وعطاياك وكرمك. إنني مع الغساسنة كالذين اصطفتهم
ومدحوك:

كفعلك في قومٍ أراك اصطفتهم
فلم ترهم في شكر ذلك أذنبوا

ظلَّ النابغة في خطوته دون ان يكثر من مديح النعمان بن
المنذر حتى حصلت حكاية المتجردة زوجة والد النعمان الفائقة
الجمال، والتي تزوجها النعمان بعد وفاة ابيه، وكان دميماً بشعا،
وحكايتها أنها دخلت على النعمان في حضور النابغة، فسقط
خمارها وقيل اسقطته بايعاز من النعمان - فطلب النعمان من
النابغة ان يصفها كما تقول الروايات فقال داليتها الرائعة:

من آل مَيَّة رائح او مغتدي
عجـلانَ ذا زاد وغير مـزود

ثم يصف بياضها مظهرًا حسنًا وجمالها وتورد وجهها
وسيرها في غنجٍ ودلال، ليتَّسمَر عليها العيون وتطير خلفها
القلوب وتذهل العقول:

صفراء كالسيراك أكمل خلقها
كالغصن في غلوائه المتأود

ويشبهها بدمية من مرمر، تصان في الأماكن العزيرة
كالمحاريب وليست ناعمة الملمس وحسب بل:

كدمية من مرمر مرفوعة
بنيت بأجر تشاد وقرميد
سقط النصف ولم ترد إسقاطه
فتناولته واتقتنا باليد

ويبين أنه استقى وصفه هذا من ما صور له النعمان الهمام:

زعم الهمام بأن فاما بارد
عذب مقبله شهى المور
زعم الهمام، ولم اذقه، أنه
عذب اذا ما ذقته قلت ازيد
اخذ العذارى عقدها فنظمت
من لؤلؤ متتابع متسرد
لو أنها عرضت لاشمط راهب
عبد الاله ضرورة متعبد
لرنا لبهجتها وحسن حديثها
ولخاله رشدا وان لم يرشد

رائعة الجمال هذه المتجردة خالبة الأبواب حتى انها لو رآها
راهب أشيب متعبد لاعتقد أن النظر اليها هو الرشاد بعينه.

وقد ورد البيتان الأخيران بالفاظهما ومعانيهما لأكثر من
شاعر والمعنى ورد في بيت لربيع بن مقروم:

لو أنها عرضت لاشمط راهب
في رأس مشرفة الذرى متبتل

فانتهاز الحساد الفرصة وأوغروا صدر النعمان واوهموه ان
النابعة يقيم عنده لا حبابة، بل عشقا للمتجردة، والا فكيف يصدر
عنه ذلك الوصف لو لم يكن الموصوف قد وقع تحت حواسه، إذن
لا بد ان يكون قد مارس الحب معها، متخذين من قلة مدحه
للنعمان وكثرته للغساسنة ذريعة وخاصة قصائده التي أشار
فيها الى انتصار الغساسنة على المناذرة كيوم حليلة، أضف الى
ذلك الغيرة منه، لما كان النعمان يغدق عليه ويكرمه فاهدر
النعمان دمه واسر اليه عصام ابن شهيرة بالخبر، فهرب ليلا الى
الشام ملتجئا الى عمرو بن الحارث الاصغر قائلا:

أتيتك عاريا خلقا ثيابي
على خوف تظن بي الظنون

فأمنه عمرو وحماه، فقال يمدحه بقصيدة مطلعها:

كليني لهم يا أميمة ناصب
وليل أقاسيه بطيء الكواكب

فلما توفي عمرو انقطع النابغة الى خليفته النعمان بن الحارث
الغساني ولزمه حتى قتل في احدى غزواته حوالي سنة (٦٠٠)م
فرثاه النابغة بقصيدة عصماء:

دعاك الهوى واستجھلتك المنازلُ
وكيف تصابي المرء والشيبُ شاملُ
فإن تك قد ودعت غير مذممٍ
أواسي ملكٍ ثبَّتتهُ الاوائلُ
فلا تبعدن إن المنية موعدةُ
وكل امريء يومًا به الحال زائلُ
فإن تحي لا أملُ حياتي وإن تمتُ
فما في حياتي بعد موتك طائلُ

ثم يبين أن الناس لم يصدقوا الخبر حتى وصل مصلوه اي
الذين يصلون عليه وهم الرهبان واهل الدين.

فأب مصلوه بعين جليةٍ
وغودر بالجولان حزمٌ ونائلُ

كيف عرف النابغة طقوس النصارى لو لم يكن قد شاهدها.
قيل ان النابغة لم يحظ لدى حجر الثاني بما حظي به عند سلفه
النعمان الغساني فعزم ان يسير الى النعمان بن المنذر الذي قال
في اعتذاره منه:

أَنْبِئْتُ أَنْ أَبَا قَابُوسَ أَوْعَدَنِي
وَلَا قَرَارَ عَلَيَّ زَارَ مِنَ الْأَسَدِ

وقيل ان النابغة قد علم بمرض النعمان بن المنذر فسار اليه
ولكن مع صديقين من بني فزارة كانا من ندماء النعمان وهما
منظور بن زِيَّان وسيَّار بن عمرو، فضرب لهما قبة من آدم وهو لا
يشعر ان النابغة معهما، وبعد ان شرب وطرب انشده الفزاريان
أبياتا للنابغة فقال هذا شعرٌ علوي، هذا شعر النابغة، فكلماه فعفا
عنه.

يعتبر النابغة من شعراء الطبقة الاولى مع امرئ القيس
وزهير، وكان من المتأنقين في صوغ الشعر وتصوير خوالج
النفس كقوله:

"أَتَيْتُكَ عَارِيًّا"، واذا كان امرؤ القيس اشتهر بالوصف
والتشبيب ووصف الصيد، واذا كان زهير قد برع في الحكمة
وتصوير الطبيعة وأنسنتها كما جاء في قصيدته التي مطلعها:

صَحَا الْقَلْبُ عَنْ سَلْمَى وَأَقْصَرَ بِاطْلُةُ
وَعُرِّيَ أَفْرَاسُ الصَّبَا وَرَوَّاحِلُهُ
ثَلَاثَ كَأَقْوَاسِ السَّرَّاءِ وَمَسْحَلُ
قَدْ اخْضَرَ مِنْ لَسِّ الْغَمِيرِ جَحَافِلُهُ

فان النابغة قد أضاف الى قيثاره الشعر الجاهلي وترًا جديدًا
لم يُعرف من قبله ذلك هو فنّ الاعتذار وان حلق في كثير من
الفنون الاخرى كالوصف والمديح والرثاء والهجاء والحكمة، الا
أنّه في اعتذارياته كان نسجًا وحده^(١)

وجاء عن الشعبي ان عمر بن الخطاب قال: من اشعر الناس،
قالوا أنت أعلم يا امير المؤمنين قال من الذي يقول:

أتيتك عاريًا خلقًا ثيابي
على خوف تُظن بي الظنونُ

قالوا النابغة قال ومن يقول

إلّا سليمان إذ قال الاله له
قُمْ في البرية فاحدها عن الفند
وخبّر الجن أني قد أذنتُ لهم
يبنون تدمرَ بالصفّاح والعمدِ

قالوا النابغة. قال فمن الذي يقول:

حلفت فلم أترك لنفسك ريبةً
وليس وراء الله للمرء مذهب

(١) النابغة الذبياني. ص ١٦٢ لعمر الدسوقي.

ولست بمستبقٍ أخلاً تلمه
على شعث أي الرجال المهذب

قالوا النابغة قال: فهو اشعر العرب

أما دينه فقد أكد البعض أنه النصرانية ونفى البعض الآخر ذلك ونحن لا نؤكد ولا ننفي بل نترك لشعره ان يبين الصحيح، فما مرّ على قلته يدل على ان الشاعر ألم بالتوراة اذ تحدث عن سليمان وعرف الانجيل اذ ذكر الطقوس الدينية. فلننسقط أبياته التي حفلت بمعاني العقيدة المسيحية، وثبتتها شواهد على ما نقول او نستخلص.

اذا تجولنا بين اشجاره الباسقة وتدرّجنا متبعين المنطق والتعمق بالمعاني الواردة في شعره طالعنا بعض افئانه النامية على جذور عميقة الغور، فلو أخذنا قصيدته التي مدح بها عمرو ابن الحارث لوجدنا أنه في مديحه له وذكر انتصار جيشه يؤكد ان كتابهم الديني قويم فهل يذكر شيئاً يخالف اعتقاده او اعتقاد قبيلته؟ الغساسنة نصارى ومجلتهم ذات الاله اي كتابهم كتاب الله فاذا تأملنا مديحه فيهم تبيننا انه ليس مديحا عادياً بل صادر عن حب ووجدان وكأن الشاعر يمدح اهله و اخوانه الذين يتوافق معهم فكرا وقلبا وروحا. فهل يمدحهم بهذه الخصال اذا كانت تخالف اعتقاده واعتقاد قبيلته.

إذا ما غزوا بالجيش حلق فوقهم
عصائب طير تهتدي بعصائب
ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم
بهنّ فلول من قراع الكتائب
تورثن من أزمان يوم حليلة
إلى اليوم قد جُرئن كل التجارب
مجلتْهم ذات الاله ودينهم
قويم فما يرجون خير العواقب

هم شجعان محاربون بواسل إذا دخلوا معركة انتصروا،
والشاهد سيوفهم وآثار المقارعة عليها، وهذا ورثوه كابرًا عن
كابر ويوم حليلة مشهور ومشهود لهم فيه، وهم مستقيمون
يتبعون كتاب الله، لا يتلونون فيه ولا يمارون. أما إذا قيل
محلّتهم، فإنه يعني مسكنهم أي مسكنهم بيت المقدس وخير
العواقب تكون مفعولا ليرجون.

ثم يذكر عيد الشعانين وطوافهم وتحيتهم بالريحان ويذكر
لباسهم وصيانتهم لأعراضهم فهم أعزة أعة:
رقاق النعال طيب حُجزاتهم
يحيون بالريحان يوم السباسب

وذكر عادة المسيحيين آنذاك وكيف كانوا يزينون السعف
بالزهور. ترى هل شارك النابغة في الاحتفال بعيد الشعانين أم

وصف ذلك عن طريق السماع او الخيال.

تحديقهم بيض الولائد بينهم
وأكسية الإضرىح فوق المشاجب^(١)
يصونون أجساداً قديماً نعيمها
بخالصة الأردن خضر المناكب

وهل قال ذلك عن اقتناع أم قاله تزلزلاً للغساسنة النصارى؟
هذا ما سيتبينه القارئ من خلال البحث والشواهد؟

واذا تدرجنا في تتبع حياة النابغة وجدنا أنه كان سياسياً من
الطراز الاول، يعرف متى يمدح ومتى يصف، ومتى يتعالى
ويترفع ويعتز ويفخر ومتى يعتذر ومتى يشفع، واضعاً مصلحة
قومه نصب عينيه، فعندما سار الى الحارث بن أبي شمر ليكلّمه
في أسرى بني أسد وبني فزارة أعطاه أياهم واکرمه، ولكنه ذكره
بحسن بن حذيفة الذي كان قد أصاب في غسان قبل عام، قائلاً
ما رمى بني أسد إلا حصن ، وقد بلغني أنه ما زال يجمع الجموع
علينا، وهو عظيم الذنب لدينا. فجعل النابغة يدافع عنه ويشفع له
قائلاً: ابيت اللعن، ان ما بلغك باطل

إنني كأنني لدى النعمان خبره
بعض الأود حديثاً غير مكذوب

(١) الأضرىح: الخز الأحمر. المشاجب : ما يعلق عليها الثوب

بأن حصناً وحيًا من بين أسدٍ
قاموا فقالوا حمانا غير مقروب

وبعد أن يسفّه حلوم بني أسد ويضل عقولهم، يبيّن أنهم اضعف
من ان يقوموا بمثل ما بلغه لانهم ظلوا في الرصافة ولم يدخلوا
تخوم بني غسان:

ظلت اقاطيع أنعام مؤبلةٍ
لدى صليبٍ على الزوراء منصوب

ولمّا عاد الى النعمان بن المنذر، ولامه النعمان على كثرة
مدائحه في الغساسنة وقلتها فيه، قال النابغة، لا تلمني واعتبرني
كالذين اصطفيتهم فشكروك على كرمك:

أتاني ابيت اللعن أنك لمتني
وتلك التي اهتّم منها وأنصبُ
حلفت فلم اترك لنفسك ريبة
وليس وراء الله للمرء مذهب
فكيف تلومني على أمرٍ انت تحبّذه لنفسك ولا ترضاه لغيرك،
هؤلاء هم

ملوك واخوان اذا ما أتيتهم
أحَكّم في اموالهم وأقربُ
كفعلك في قوم اراك اصطنعتهم
فلم ترهم في شكر ذلك اذنبوا

ذكر الصليب على الزوراء ولم يحلف به ولكنه كان يؤمن بالله الذي يعود كل شيء اليه، خلق الخلق وهداهم بنوره فلا يستطيع أحد ان يتخطاه، وربما كان يؤمن بالقضاء والقدر الى ايمانه بالوحدانية.

ثم يقول له، ألا يكفي أن الله اعطاك هذا المركز وفضيلة الحكم والإرشاد، وهذه يتمناها الناس، فجعلك كالشمس وجعلهم كالكوكب:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ عَظَاكَ سُورَةً
تَرَى كُلَّ مَلَكٍ دُونَهَا يَتَذِذُبُ

ومن أشهر اعتذارياته التي قالها في النعمان بن المنذر ومطلعها:

يا دار مية بالعلياء فالسند
اقوت وطال عليها سالف الأبد

وفيها يقول: إن للنعمان فضلا على الناس القرباء والبعداء ولا أحد يشبهه في البرية إلا سليمان الذي امر الجن فاطاعته:

فَتِلْكَ تُبْلِغُنِي النِّعْمَانَ إِنْ لَهُ
فَضْلًا عَلَى النَّاسِ فِي الْإِدْنَى وَفِي الْبُعْدِ
وَلَا أَرَى فَاعِلًا فِي النَّاسِ يَشْبَهُهُ
وَلَا أَحَاشِي مِنْ الْأَقْوَامِ مِنْ أَحَدٍ

إِلَّا سَلِيمَانِ إِذْ قَالَ لِلَّهِ لَهُ
قُمْ فِي الْبَرِيَّةِ فَاحْدِدْهَا عَنِ الْفَنَدِ
وَحَيْسَ الْجَنِّ، إِنِّي قَدْ أَذْنْتُ لَهُمْ
يَبْنُونَ تَدْمُرُ بِالْصَّفَاحِ وَالْعَمْدِ. (١)

صحيح أن أهل الحيرة كانوا نصارى وكذلك النعمان، ولكن هل ذكر النابغة سليمان أرضاء للنعمان أم استقى الحكاية من الكتاب المقدس؟ أم استمع إلى أهل الدين؟ واضح أنه لو لم يكن ملماً بتفصيلاتها لما اعتمدها ليقنع النعمان بن المنذر ونحن لا ننكر أن النابغة شبه النعمان بسليمان في الحكمة والتقوى، ولكننا في الوقت عينه نتبين اطلاع النابغة على الكتب السماوية.

وفي معرض اعتذارية أخرى للنعمان يقول: إِنَّا نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَبْقَى لَنَا هَذَا السَّنْدُ فِي بَقَائِهِ يَدُومُ الْمَلِكُ وَتَعْمُرُ الْأَرْضُ. فإِنْ رَجَعَ حَظُّنَا بَقِيَ لَنَا وَإِلَّا أَنْهَزْمُنَا أَمَامَ قِدْحِ الْمَنِيَةِ.

وَنَحْنُ لَدَيْهِ نَسْأَلُ اللَّهَ خَلْدَهُ
يَرُدُّ لَنَا مَلِكًا وَلِلْأَرْضِ عَامِرًا
وَنَحْنُ نَرْجِي الْخُلْدَ إِنْ فَازَ قِدْحُنَا
وَنَرْهَبُ قِدْحَ الْمَوْتِ إِنْ جَاءَ قَامِرًا

(١) حَيْسَ: ذَلِكَ. الصَّفَاحُ: الْحِجَارَةُ. الْفَنَدُ: الْخَطَأُ

الا يظهر النابغة هنا مؤمناً بالله الذي يسأله ان يمدّ في عمر
النعمان ويرجو له ان يتجاوز زحف الموت؟

ويذكر أيضا حوادث الدهر مؤكداً أن كل حيّ الى زوال

ما من اناس ذوي مجرٍ ومكرمةٍ
الآ يشدُّ عليهم شدةُ الذيب
حتى يُبيد على عمدٍ سراتهمُ
بالنافذات من النبل المصاييب
إنني وجدت سهام الموت معرضة
بكل حتف من الآجال مكتوب

واضح ان النابغة يؤمن بأن الانسان كل انسان يخضع للقدس،
فأجله محدود ومن جاءه الأجل فلا يستطيع ان يؤخره.

وفي قصيدته العينية التي يمدح بها النعمان بن المنذر ويعتذر
منه ويهجو مرةً بن ربيع يقول:

أتوعد عبداً لم يخنك أمانةً
وتترك عبداً ظالماً وهو ضالع
أبى الله إلا عدله ووفاءه
فلا النكر معروف ولا العرف ضائع

يعرّض بمرة ويقول للنعمان، ان الظالم ليس من هددته، بل الذي تركته وهو ضالع في الشر وعلى عاتقه المسؤولية الكبرى. وان المعروف لا يضيع والله يرفض إلا ان يعدل ويفي، فيكلم النعمان ألا ينكر المعروف وان يعود عن غضبه ويرجع الى عادته من العدل والوفاء.

وفي معرض آخر يوبّخ الشاعر نفسه على عدم طاعته الله الذي بعث لنا البشارة وعلمنا ان نصدّق في حبه ونستقيم في سيرتنا.

تعصي الاله وانت تظهرُ حُبّه
هذا لَعَمْرُكَ في المقال بديع
لو كنت تصدقُ حُبّه لأطعته
إنّ المحبّ لمن يُحبُّ مُطيع

ورد في شعر النابغة معان كثيرة تتعلق بالله وعد له وقضائه وقدره، وأنه الواحد الخالق، كما وردت كلمات كثيرة في مدائحه واعتذاراته مثل الصليب، ويوم السباسب-الشعانين-ومجلة بمعنى كتاب وهي كتاب الله، وان كانت محلة فبيت المقدس - وضرورة اي متبتل ومتعبّد ولو اعتبرنا ان هذه لا تدل على دين النابغة كما قال الاستاذ عمر الدسوقي، نافيا كون النابغة نصرانيا، وان كان يعتقد بوجود اله واحد، هو خالق الكون، فنسأل نحن بدورنا ومن أين جاءت هذه الافكار؟ ثم يقول

الاستاذ الدسوقي: "أن صاحب شعراء النصرانية وصاحب الروائع"
دون أن يسميهما- ولم أجد سببا مانعا لذلك- قد حاولا أن يعدا
النابغة من شعراء النصرانية معتمدين على بيتين من العشر
قالهما في مدح الغساسنة:

ظَلَّتْ اقْطَاطِيعُ أَنْعَامٍ مُؤِيلَةٌ
لَدَى صَلِيبٍ عَلَى الزُّورَاءِ مَنْصُوبِ
وَمَجَلَّتْهُمْ ذَاتُ الْإِلَهِ وَدِينُهُمْ
قَوِيمٌ فَمَا يَرْجُونَ خَيْرَ الْعَوَاقِبِ

والنابغة عندما ذكر مجلتهم اتبعها بقوله ودينهم قويم للدلالة
على انهم يتبعون كتاب الله الذي جعل طاعتهم له خالصة
مستقيمة. ويقول، لأنه ذكر الصليب ويوم الشعانين قالا إنه
نصراني؟ "لعمري هذا استنتاج فيه كثير من الجرأة"، ويقول: "إنه
ذكر ذلك في مدحهم إرضاء لهم لانهم كانوا نصارى، ولو أن
النابغة صَبَأَ عن دين آبائه لَوُجِدَ في شعره ما ينم على ذلك" (١).
ثم يقول "والنابغة وإن لم يكن نصرانياً، فإنه كان رجلاً عاقلاً
حكيمًا ذا مبادئ مستقيمة، وانتهج سبيلاً خلقياً قويمًا تجلّى في
حرصه على العهود والمواثيق:

وَاسْتَبَقَ وَدَكَ لِلصَّدِيقِ وَلَا تَكُنْ
قَتْبًا يَعْضُ بِغَارِبٍ مَلْحَا

(١) النابغة الذبياني ص ١٥٧ و ١٦٠ عمر الدسوقي وشعراء النصرانية.

فالرفق يمن والأناة سعادةٌ
فتأن في رفق تنال نجاحاً^(١)

يدعو النابغة الى المحافظة على الود والتسامح مع الاصدقاء
والى الرفق في المعاملة والتأني في الامور، وعدم التحسر على ما
فأت، وعدم الجشع والحرص على الحياة، ويتجلى ذلك في قوله

ولست بذأخر لغد طعاما
جِذَارٍ غَدٍ لِكُلِّ غَدٍ طعام

والسؤال هنا للاستاذ عمر الدسوقي ومن جاره ويجاريه في
رأيه، ما قولكم في قول النابغة هذا؟ من اين حلت على النابغة
هذه الأفكار والآراء، وهذه الصفات، وتلك القيم من محبة وتسامح
ورفق وهو الشاعر الجاهلي الذي حذر النعمان من أنه سيحاربه
اذا تعرض لبني حن:

لقد قلت للنعمان يوم لقيته
تجنب بني حن ببرقة صادر
تجنب بني حن فان لقاءهم
كريبه، وإن لم تلق الا بصابر

فهل هذا يتناسب مع قوله "والنابغة وإن لم يكن نصرانيا فانه
كان رجلا عاقلا.." فاذا لم يكن نصرانيا مطلعا على الاناجيل

(١) متقب: ما يوضع على سنام البعير. غارب: الكاهل او ما بين العنق والسنام

مدركا كنهها فمن اين له ما قال؟ أيمكن ان يكون النابغة قد تحلّى بتلك الخصال وقال بأن لكل غد طعاما دون ان يكون مقتنعا بذلك؟

ونحن نورد ما قاله المسيح: "لا تهتموا بما لحياتكم، وبما تأكلون وما تشربون، ولأجسادكم بما تلبسون. أليست الحياة أفضل من الطعام والجسد أفضل من اللباس. انظروا الى طيور السماء، إنها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع الى مخازن، وأبوكم السماوي يقوتها، ألستم انتم أفضل منها... فلا تهتموا للغد لأن الغد يهتم بما لنفسه" (١)

أليس هذا الذي ورد في انجيل متى، هو الذي جاء في قول النابغة؟ فمن أين جاءه المعنى؟ هل كان توارد خواطر؟ نترك الإجابة للقارئ. اذ على ضوء ما ورد للنابغة من ابيات في هذا البحث تنجلي الحقيقة، حقيقة نصرانيته.

ولكن علينا ان نلفت الانتباه الى ان النابغة وإن عاش بين بلاطين نصرانيين، وكانت البيع والكنائس والاديرة منتشرة في العراق والشام والجزيرة فتأثر بها، إلا أنه انشغل بمصلحة قومه وشؤون قبيلته، وجعل ذلك أول اهتماماته، واقفا حياته على الدفاع عن قبيلته وحقوقها، وربما لهذا السبب ولغيره لم يكثر من ذكر الطقوس النصرانية، لانشغاله بالامور الحياتية الدنيوية.

(١) إنجيل متى ٦: ٢٥ و ٢٦ و ٢٤

إذا تأملنا ملياً أبيات النابغة وخاصة ما قاله في أواخر حياته
نحسّن أنه شعر بالذنب تجاه الخالق لأنه خاض في أمور تخالف
الاعتراف برب قادر على كل شيء وابتعد عن الدين وتناقض فهو
يعصي الإله ويحبه في آن.

تعصي الإله وانت تُظهر حبه
هذا لعمرك في المقال عظيم

والآن فما رأيكم؟ ألا ترون أن شعر النابغة يحمل نفحات
انجيلية، ألا يدل ذلك على دينه؟

أبيات متفرقة

تحدثنا عن الشعراء الجاهليين، أصحاب المطولات الذين ساعدتهم الحظ على الظهور والشهرة، وبيننا معالم المسيحية في شعرهم على قلة ما وصلنا، أو قلّ على قلة ما نقلَ إلينا الرواة، لأن أكثر الرواة والباحثين والمؤلفين يزعمون أن معظم شعر القدماء ضاع، والسؤال كيف ضاع ما يتعلق منه بالنصرانية دون ما لا يتعلق.

بعد أن تكلمنا عن أصحاب الحظوظ، علينا أن نتطرق لمن لم يحالفهم الحظ، فنَبَتَ عنهم الشهرة ولم يصلنا من شعرهم إلا النذر اليسير، غير أن هذا اليسير يدل على انتشار النصرانية بين عرب الجاهلية، لأن كثيرين من الشعراء في الجاهلية، آمنوا بالله، وبالمسيح، حتى أن منهم من سمّاه أبوه عبد المسيح كعبد المسيح بن عسلة من بكر، وعبد المسيح ابن ببيعة، فكيف يكون اسمهم دالا على دينهم وهم على غير دين؟ ثم لقب النصراني مثل قبصة ابن النصراني وهو غير نصراني؟

والأسماء الدالة كثيرة وأصحابها ينتمون إلى أكثر من قبيلة، وعلينا الآن أن نتأمل فيها لنستنبط الحقيقة.

جاء في المعاجم والدراسات والأبحاث والموسوعات الأدبية والتاريخية أبيات متفرقة تشير بصراحة ووضوح وشفافية إلى انتشار المسيحية بين القبائل كما سنرى في نهاية البحث.

جاء في تاج العروس على لسان سيبويه قوله:

أوصاك ربُّك بالتقى
وأولو النهى أوصوا معة
فاختر لنفسك مسجداً^(١)
تخلو به أو صومعة

الله أوصى بالتقى والاخلاق والبعد عن الشر والعاقلون أوصوا
بذلك أيضاً، فسرَّ حسب الوصية واختر مسجداً أو ديراً وتعبد فيه.

وجاد في موسوعة الشعر العربي^(٢) ان قيس بن الخطيم قال

يُحِبُّ المرء ان يلقى مناه
ويأبى الله إلا ما يشاء

الآ يدل هذا على ايمان قيس بالله وقضائه وقدره، وهل تسقط
شعرة من رؤوسنا إلا بأمره. ويفتخر ابن برى بقومه الاعزة،
البطارقة البيض الوجوه، الكرام

فلا تنكروني إن أهلي اعزة
بطارقة بيض الوجوه كرام

(١) و(٢) المسجد أو البيعة بكلمة عرفت قبل الاسلام وهي مكان الصلاة عند المسيحيين موسوعة الشعر
: صفدي وحاي

وهذا يذكرني بقول حسان بن ثابت في مدح الغساسنة:

لله درّ عصابة نادمتهم
يومًا بجلّق في الزمان الاول
بيض الوجوه كريمة احسابهم
شمّ الانوف من الطراز الاول

وفي معرض حديثنا عن حسان نذكر مدحه لجبلّة بن الايهم
الغساني، ذاكرًا دينه وصلاته يوم الفصح

دنا الفصح والولائد في الدهر
وحقًا تصرف الإنسان
صلوات المسيح في ذلك الدير
دعاء القسيسين والرهبان^(١)

ألا يدل ذكر الدير وصلوات المسيح التي يُردها القسيسون
والرهبان، على وجود المسيحية وانتشارها؟

ويقول المزرد أخو الشماخ مشبها شعاع الشمس في حجرة
الحبيبة بمصاييح الراهب

كأن شعاع الشمس في حجراتها
مصاييح رهبان زهّتها القنادلُ

(١) مروج الذهب ج١ ص ٢٦٧

ويتحدث تميم بن مقبل عن صوت النواقيس والراهب الذي
ينقسه داعيا القوم الى الصلاة.

صوت النواقيس فيه ما يفرطه
أيدي الجلّاذي^(١) جون ما يُعفينا

أكثر الشعراء من ذكر النواقيس والبيع والاديّار، وليس ذلك في
مكان بعينه، او على لسان شعراء من قبيلة واحدة، مما يدل على
انتشار البيع وبالتالي انتشار المسيحية.

وهذا بكر بن خارجة يتحدث عن البساتين والفواكه والساكر
والاديّار

دع البساتين من آسٍ وتفّاح
واقصد الى الشيخ من ذات الأكيراح
الى الساكر فالدير المقابلها
لدى الأكيراح او دير ابن وضّاح

ويذكر أيمن بن خُرَيْم الخمرة ومكانها والراهب الذي يطوف
بها ولم تغلّ ولم يشهد نارها قس ولا صلى على غليها رئيس
رهبان

(١) الجلّاذي: الراهب

وصهباء جرجانية لم يطف بها
حنيفاً ولم تنغربها ساعة قدراً
ولم يشهد القس المهينم نارها
طروقاً ولا صلى على طبخها حَبْرُ

الا يدل هذا البيت على ان ابن خريم وصف ما شاهد؟

ويقول جحظة واصفا دير العذارى والنواقيس وترتيل القسيس
والشموع :

وقد نطق الناقوس بعد سكونه
وشمعل قسيس ولاح فتيل^(١)

ويقول اوس بن حجر يصف مشاعل عيد الفصح

عليه كمصباح العزيز يشبه
لفصح ويحشوه الذبال المفتلاً

اما عبد المسيح بن بquila فيصور ما حصل بدير الجرعة:

كم تجرعتُ بدير الجرعة
غصصاً، كبدي بها منصدة

(١) النصرانية وآدابها: ص ٢١٦، ٢١٧ - لويس شيخو

من بدور فوق اغصان الى
كتب زرن احتساباً بيعة

ويقول الترياني في أديان العرب والنصرانية وآدابها واصفاً
القلاية، اي الدير:

وان انتما حيئذئتماني تحيةً
فلا تغدوا ربحان قلابة القس

ويذكر دير حنة ودير ابن البراق ودير اشموني

يا دير حنة عند القوائم الساقية
الى الخورنق من دير ابن براق

أما الخمرة فلا تلذ له إذا لم يشربها على قرع النواقيس

اشرب على قرع النواقيس
في دير اشموني بتفليس

والشراب لا يستساغ في رأيه:

إلا على قرع النواقيس
او صوت قسّان وتشميس

واين يسمع صوت القس والشماس؟ هل يسمع الا في الصلاة؟

اما خويلد بن نفيل فقد لخص قول المسيح: "لا تدينوا لكي لا تدانوا، فإنكم بالدينونة التي بها تدينون، تدانون"، مؤكداً أن الحكم والقضاء ويوم الحساب بيد الله الديان:

يا حارِيقنْ أنْ مُلْكَكَ زائلٌ
واعلم بأنْ كما تدين تدانُ

اخذ المعنى واللفظ رأيت اوضح من هذا اما البيت القائل:

وما سبَحَ الرهبان في كل هيكلٍ
أبيلَ الأبيلين المسيح ابن مريما

فإنه ينسب للاعشى ولعبد الجن ولعمرو بن عبد الحق
ولغيرهم، وكأن أكثر من واحد رده وتبناه.

ألا ترى الى هذه الشذرات، كيف يظهر فيها الايمان بالمسيح
وانجيله الذي استوحاه من تعاليمه تلاميذه الاربعة.

فاذا قال أحد، لو كان هؤلاء الشعراء مسيحيين فعلاً لا تهمتهم
قبائلهم انهم صباؤا، وحاربتهم، ونحن نقول لو خرجوا على دين
قبائلهم لا تهمتهم قبائلهم وحاربتهم كما حاربت قريش النبي
واتباعه، غير ان قبائلهم اعتقدت بما كانوا يعتقدون ودانت بما
كانوا يدينون. ونحن نعلم ان اقوى القبائل كتغلب واشد الممالك
مثل كندة والغساسنة في الشام والمناذرة في العراق دانوا
بالنصرانية كما جاء في كتب المحققين كما سنرى.

شهود على صحة ما نقول

ذكرنا أهم الشعراء الذين وردت المصطلحات المسيحية في شعرهم، وليس من الضروري، ان يكون كل من ورد مصطلح مسيحي في شعره، نصرانياً، بيد ان الذين أنعمنا النظر في شعرهم وجدنا لديهم أوصافاً للنصرانية وعاداتها وطقوسها ومعتقداتها، وهذه الامور لا يعرفها الا من اطلع على احداث العهد القديم وعلى احداث العهد الجديد التي رواها الانجيليون الاربعة عن المسيح وسيرته وحياته وتعاليمه وموته وقيامته. وهذا إن دلّ علي شيء فانما يدلّ على انهم كانوا يُلَمّون بالدين المسيحي ونظامه الكنسي، "أي بوجود أساقفة وكهنة، ولكلمة كاهن أكثر من معنى فقد وردت في كثير من الشعر العربي الجاهلي بمعنى خادم الدين ومُقَرَّب القداس لله، دون ان تعني العرّاف او المنبىء بالمستقبل...والدين المسيحي يقوم بالنظام الكنسي، ويتضح ان العرب لم يريدوا بلفظة كاهن: السحرة والمشعوذين فقط بل اخذوها ايضا بمعناها الخاص اي راعي الدين القويم وخادم الاسرار المقدسة." (١)

مجلتهم ذات الاله ودينهم

قويم فما يرجون غير العواقب

(١) النصرانية وأدائها بين عرب الجاهلية: ص ٢٠٠، ٢٠١ - لويس شيخو

وجاء في لسان العرب "أنهم كانوا يسمون كل من كان يتعاطى علماً دقيقاً ومعرفة، كاهناً، ومنهم من كان يسمى المنجم والطبيب كاهناً."

وقد وردت افكار مسيحية عديدة في شعر كثيرين من عرب الجاهلية، ولا نزع أنهم جميعاً كانوا نصارى، ولكننا، بناء على القليل الذي وصلنا من شعرهم لا الكثير الذي طمسه الرواة والنقلة، خدمة لمصالحهم، وادعوا أنه ضاع وقد يكونون هم الذين ضيعوه، نوكد أن النصرانية شملت معظم القبائل وان حاول البعض انكار ذلك.

واذا نظرنا في شعر من برز منهم واشتهر - وكل شاعر ينتمي الى قبيلته ويمثلها، وجدنا ان الشعراء لم يخرجوا على قانون القبيلة، ولا على دينها، لان الخارج يصعلك ويُنبذ، ويعتبر صابئاً، تحقق حربه، فلو خالف أحد منهم لعدّ صعلوكاً، لهذا نعتقد ان الشعراء النصاري الذين مرّ ذكرهم، كانوا على دين قبائلهم اي دانوا بالنصرانية كحنيفة وقضاة وبكر وتغلب والعباد وحمير والغساسنة، وقد ذكروا المسيح والعذراء مريم.

وما سبّح الرهبان في كل بيعة
أبيل الأبيلين المسيح ابن مريما

وهذا البيت ينسب للكثيرين، للاعشى والنابغة وعبد الحق وعبد الجن وهذا يدل على ان كثيرين ردّوه او تبّنوه.

كما ذكروا الصوم

صَدَتْ كَمَا صَدَّ عَمَّا لَا يَحِلُّ لَهُ
سَاقِي نَصَارَى قُبَيْلَ الْفَصْحِ صَوَامُ

ويقول بروكلمان "وليس من شك في أن الرهبان الذين انتشرت صوامعهم في فلسطين وشبه جزيرة سيناء حتي قلب الصحراء، كان لهم أثر كبير في تعريف العرب بالنصرانية. أضف الى ذلك أن الصحراء كانت ملجأ لبعض الفرق المضطهدة من الكنيسة الرسمية، فكان طبيعياً ان تكون أقدر على النجاح في نشر تعاليمها من كنيسة الدولة." (١)

نَظَرْتُ إِلَيْهَا وَالنَّجُومُ كَأَنَّهَا
مَصَابِيحُ رَهَبَانٍ تَشَبُّ لِقَفَالٍ

ويقول بطرس البستاني: "كانت اديان العرب مختلفة وأكثرها الوثنية. ومع هذا كانوا يخلطون عبادة الاصنام والكواكب بعبادة الله." (٢) ذلك أنهم كانوا يعتقدون أن الحجارة السوداء نيازك هبطت من السماء لتكون واسطة بينهم وبين الله. لذلك لم تكن عقيدتهم الدينية واضحة متمكنة في النفوس ولهذا كان البدوي سطحيّ العقيدة يترك الدين ساعة يشاء. ويقول الدكتور شوقي

(١) تاريخ الشعوب العربية ج١ ص ٣٠ كارل بروكلمان

(٢) موسوعة الحضارة العربية ص ٢٦ بطرس البستاني

ضعيف مَبْرَرًا تأثر الجاهلي: "أن الجاهليين وإن دانوا بالنصرانية، فقد فرضت عليهم الحياة ذلك. فلم يكونوا يرضون بالدية ويرونها ذُلًّا ما بعده ذلٌّ، ان يستبدلوا بالدم الابل والبأنها. فالدم لا يشفيه إلا الدم وكانما أصبح سفكه غريزة من غرائزهم فهم يطلبونه ويتعظشون اليه.

قليلُ غرار النوم أكبرهمه دمُ الثأر أو يكفي كمياً مسفعا^(١)

"والمعروف ان الدين لا تتضح اموره للمؤمن ولا تتمكن عقيدته في نفسه الا اذا وُجد في وطن مستقرّ تقام فيه المعابد ويتولى فيها رجال الدين التوجيه فيعظون ويُعلمون ويشرحون حتى يتمكن الدين من النفوس.

لكن اهل البادية بدؤ رحل فمن الطبيعي ان تكون عقيدتهم سطحية وهم لا يتصلون بدينهم الا عن بعد. ومن الطبيعي ان يخلطوا الأديان وهم يجهلون حقيقة كل دين".^(٢) ونحن نرى في الماضي وحتى يومنا هذا ان العرب يجهلون حقيقة كل دين، ومعظمهم لا يعرف من الكتاب الذي يعتقد به غير الاسم أما محتواه فلا يعرف الا ما يلقنه إياه رجل الدين، ولو عرف كل واحد

(١) كمياً مسفعا: بطلا لونه الشمس . تاريخ الادب العربي ج١ ص ٦٣ د. شوقي ضيف

(٢) موسوعة الحضارة العربية ص ٧٢ من المجلد الاول، بطرس البستاني

محتوى كتابه لاندريس التعصب الطائفي والمذهبي ويات الولاة كله للوطن.

ويقول البستاني: "اما المسيحية فقد تقبلها العرب المجاورون لبيزنطية ولسوريا والعراق كبني بكر وتغلب، وزادت انتشارا عندما استعمرت الحبشة بلاد اليمن فأدخلت المسيحية اليها. على ان المسيحية التي انتشرت في اليمن كانت يعقوبية تبعا لعقيدة الاحباش، وكانت النسطورية في العراق، وكان الحضر المقيمون في المدن أكثر تمسكا بالدين من البدو الرحل. وكان في قرش مكة عقائد كثيرة منها ما أخذوه عن الاحباش في اثناء التجارة او من المسيحية التي كانوا يسمونها حنيفية". (١)

كانت الحيرة قبل الاسلام نصرانية تزخر بالثقافة السريانية وكان المسيحيون يكتبون بالقلم السرياني. وفي النصوص الأثرية ذكر لثاني ملوك الحيرة النصرانية، جدود المناذرة الذي ملك قبيلتي أسد ونزار، ومك بنيه على الشعوب والقبائل الكبيرة، أما الغساسنة فقد خضعوا للبيزنطيين، واخذت البعثات المسيحية تغزو الشمال في الغرب والشرق منه.

ويؤكد الدكتور شوقي ضيف "أن النصرانية انتشرت في اليمن

(١) موسوعة الحضارة العربية ص ٧٢ من المجلد الاول، بطرس البستاني

وشمال الجزيرة الغربي والشرقي، منذ القرن الرابع للميلاد من أهم أسباب انتشارها البعثات الدينية التي كان القياصرة يشجعونها. وانتشرت في نجران وغيرها ودخل الاحباش اليمن بقيادة أبرهة الذي بنى فيها الكنائس منها كنيسة نجران، والقليس في صنعاء (وهي معربة عن اقليشيا اليونانية) ويقال انه نقشها بالذهب والفضة والفسيفساء واللوان الاصباغ وصنوف الجواهر... ونصب فيها صلباناً من الذهب والفضة ومنابر من العاج والأبنوس^(١).

كما انتشرت بين عرب الشام من الغساسنة وغيرهم مثل عاملة وجذام وكلب وقضاة، وكانوا على مذهب اليعاقبة القائلين بطبيعة واحدة للمسيح وهذا تأكيد لما قاله الاستاذ بطرس البستاني.

ونفذت الى عرب العراق، الى تغلب واياك ويكر وتغلغل في الحيرة فاعتنقها العباديون ولكنهم كانوا نساطرة يؤمنون بطبيعتين للمسيح لاهوتية وناسوتية. وكانت النصرانية منتشرة في طي ودومة الجندل فعرف الجاهليون الكنائس والرهبان والأساقفة والصوامع^(٢).

١٢٠٢ وما بعد. شوقي ضيف

ولعل في كل ما قدمنا ما يدل على ان وجود النصرانية في
الجزيرة أثر في الشعراء على اختلاف انتماءاتهم الدينية

فلا تكتُمَنَّ الله ما في صدوركم
ليُخْفَى ومهما يُكْتَم الله يَعْلَم
يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر
ليوم الحساب أو يُعَجَّل فيُنْقَم

وفي مكان آخر يقول زهير بن ابي سلمى

بدالي أن الله حق فزادني
الى الحق تقوى الله ما كان باديا

وكان من آثار انتشار النصرانية ظهور المتعبدین المتبتلين
الذين يمضون الليل في العبادة. وبفضلها تسربت فكرة البعث
والحساب الى عدد من الشعراء الجاهليين.

واذ عدنا الى ما اعتمدنا عليه من مراجع وما اخترناه من
شواهد، سواء من "العرب قبل الاسلام لجرجي زيدان" في اول
البحث أو من موسوعة الحضارة العربية لبطرس البستاني او
تاريخ الادب العربي للدكتور شوقي ضيف او النصرانية وآدابها
بين عرب الجاهلية للويس شيخو، وجدنا انهم قد أجمعوا على
انتشار النصرانية بين قبائل العرب في الجاهلية كذلك وجدنا ان
ما اوردها من شعر وأحكام ينطبق على ما قاله هؤلاء الباحثون،
وكل ذلك يؤكد على ان الشعراء دانوا بالنصرانية ولم يصبأوا.

إن آراء النصرانية وتعاليم المسيح قد انتشرت بين القبائل وعمّت الادب الجاهلي وخاصة الشعر، ولأ فكيف يقول ابن عباس كما ورد في ترجمة حاتم الطائي: "وإذا قرأتم شيئاً من كتاب الله، فلم تفهموه، فاطلبوه في أشعار العرب، فإن الشعر ديوان العرب - أي سجلهم - وكان إذا سُئل شيئاً من القرآن أنشد فيه شعراً^(١).

ألا نفهم من قول ابن عباس هذا وهو المحدث الثقة، أن الشعر الجاهلي كان زاخراً بالمعاني الدينية. فأين ما أشار إليه ابن عباس بقوله هذا اليوم، والادب الجاهلي يكاد يخلو من ذلك؟ هل طمس والغي من التداول؟ ونختم فنقول: ان خير شاهد على أن المسيحية كانت منتشرة بين العرب وفي أدبهم كانت واضحة هو قول ابن عباس ومن هنا نقول: وشهد شاهدٌ من أهله.

(١) عن العدة ج ١ ص ٣٠

المراجع والمصادر

مقدمة ابن خلدون	
اديان اعرب قبل الاسلام	الاب جرجس داود داود
العرب قبل الاسلام	جرجي زيدان (مطبعة الهلال)
العرب قبل الاسلام	جرجي زيدان، مراجعة الدكتور حسين مؤنس.
تاريخ آداب اللغة العربية	جرجي زيدان
تاريخ التمدن الاسلامي	جرجي زيدان
شعراء النصرانية	الأب لويس شيخو
النصرانية وآدابها	
بين عرب الجاهليه	الاب لويس شيخو
الاناجيل الاربعة	الكتاب المقدس
القرآن الكريم	
عقود الدرر في شرح	تحقيق ابراهيم اليازجي
شواهد المختصر	
لسان العرب	
محنة العقل	مصطفى جحا
في الادب الجاهلي	د. طه حسين

حديث الاربعاء	د. طه حسين
خصام ونقد	د. طه حسين
الشعر والشعراء	لابن متيتبه
مروج الذهب	للمسعودي
الاغاني	لابي الفرج الاصفهاني
موسوعة الشعر العربي	مطاع صفدي وايليا حاوي
موسوعة الحضارة العربية	بطرس البستاني
الناطقة الذبياني	د. عمر الدسوقي
المجاني الحديثة	د. فؤاد افرام البستاني
الروائع	د. فؤاد افرام البستاني
العمدة	لابن رشيق
تاريخ الادب العربي	د. شوقي ضيف
تاريخ العرب والمسلمين	محمد حسين علي وعبد الرحيم مرعب
مختصر صحيح البخاري	تحقيق سعيد اللحام

